روايات عبير

الحياة حلوة

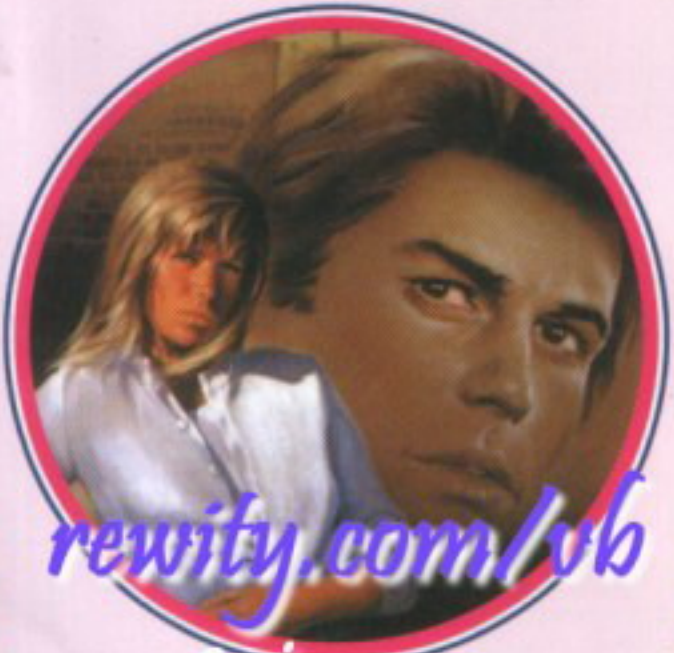

rewity.com/vb

Ellen ROBIN

N° 659

روايات عبير

دعه قرع

حوّل الظلام النهار إلى ليل دامس وثارت العاصفة فأطبقت السماء على الأرض،
وتحكم القدر في حياة "سوانا" يوجهها حيث يشاء،
خرج رجل من الظل، رجل فوق العادة... إله الحب.
أمرها "ميجول فارجاس":
- لا تدعي الفرصة تفوتك!
هل سيستطيع أن يخرجها من الضياع العاطفي الذي كانت غارقة فيه؟
ما هي الاختبارات والعقبات التي ستقابلها قبل أن تكتشف شعورها الحقيقي؟!

ثمن النسخة

لبنان	٢٥٠٠ ل.	قطر	٨ ريال
سوريا	٧٥ ل.	سلطنة	٧٥٠ بيسة
الأردن	١ دينار	مصر	١٠ جنيه
السعودية	٨ ريال		20
الكويت	٨ دنانير	تونس	2.5
الإمارات	٨ دراهم	اليمن	٢٥٠ ر.
البحرين	٧٥٠ فلس	U.K.	2£

ISBN 9953-443-87-4

rewity.com/vb

شخصيات الرواية

"سوانا منديجو دوبلميز" : كاتبة أغان تعيش في "مدريد" وحيدة حيث يعمل والدها سفيراً، وهو كثير التنقل.

"ميجول فارجاس" : مغن مشهور ذو جاذبية شديدة ومشهور بمغامراته النسائية.

"جوان أورتيز" و"كارلوس كيلان" : معاونا "ميجول فارجاس".

"جوزيه فيلار" : مؤلف موسيقي وصديق "سوانا".

http://rewity.com/vb/

الغلاف الأمامي

"سوانا" فتاة طيبة تستحق أن تعيش حياة مستقرة تعوضها عن افتقادها لحنان الأسرة الذي عانته في طفولتها. هل "ميجول فارجاس" هو الرجل الذي تحتاج إليه ليكون بجوارها؟

مقدمة

فوق صفحة مياه المحيط الزرقاء ،بدت عدة مراكب شراعية في ذلك العصر. كان "أكابولكو" يسير بمحاذاة شواطئه ذات الرمال الصفراء وسط سعادة الجميع.

على جزيرة "روكيتا" في مواجهة الخليج، اختفت بين الخضرة فيللا صغيرة. جلست سيدتان أمام حمام السباحة المطل على المحيط تحت شمسيتين من القماش البيج. التفتت الأصغر سنًا نحو رفيقتها.

-يروي لي "ميجول" تاريخ حياته، ولكن بمجرد أن أتطرق إلى الفصل الذي يخص "سوانا" يكتفي بأن يطلق المزاح عن الفضول النسائي ولا أعلم شيئا ،على الرغم من أن الجمهور يريد أن يعرف كيف تقابلتما.

صرفت "سوانا" نظرها عن الخليج الذي أغرقته الشمس. ونظرت باهتمام إلى الفرنسية الشابة، التي كانت مهمتها جمع الذكريات الخاصة بزوجها. كانت "نيللي" طويلة ذات شعر أسمر، تتمسك بتسريحة خاصة لشعرها الجميل على شكل ضفيرتين، وتضع نظارة ذات إطار معدني مستدير تعود إلى القرن الماضي.

-أستطيع أن أروي لك قصتنا ،ولكني لا أعتقد أن "ميجول" سيسمح لك باستخدامها .إنها الحديقة المسحورة التي لا يعرفها سوانا، ولا تفلح الكلمات في التعبير عنها.

زفرت الفتاة الشابة:

-على الأقل سيكون لدي فكرة عما يجب أن أكتبه.

-منذ عشر سنوات لم يكن هناك أحد يهتم بي بشكل خاص... بالإضافة إليّ أنا نفسي.

www.rewayti.net

اعترضت "نيللي روفير" على الفور دون اقتناع:

-هذا مستحيل. أنت جميلة جداً.

-كنت مثل العديد من الأشياء التي لا تكون جميلة إلا عند استخدامها. لقد كنت منجذبة تماماً إلى الآفاق في انتظار شيء ما أو شخص ما.

-كيف تقابلتما أول مرة؟

-لم تكن هناك سوى مرة واحدة إذا جاز لي القول. لقد تقابلنا بدون سابق ميعاد، وسعد القدر بأن يجمعنا. وفي يوم ما بدا لنا نفس هذا القدر قاسياً عندما فرقنا دون أن نعلم أنه سيجمعنا مرة أخرى.

-ألا تستطعين أن تكوني أكثر وضوحا؟

ابتسمت "سوانا"، وتمددت على مقعد البحر، وأغلقت عينيها.

-كان هناك ذات مرة فتاة طائشة تتجه نحو "إسبانيا" في سيارة استعارتها من صديقة لها... هل يصلح ذلك كمقدمة؟

الفصل الأول

كان الظلام كاملا، بالإضافة إلى الأرض الموحلة والأمطار الغزيرة، مما جعل القيادة أمراً صعباً.

استمرت "سوانا" في طريقها، غير عابئة بالأخطار وسط هذا الطقس السيئ، الذي بدأ من آخر حدود قمم "كانتابريك". لقد كانت لا تزال بعيدة جداً عن مقصدها النهائي ،و تخشى أن تقطع رحلتها في هذا البلد الذي لا تعرفه.

قالت لنفسها وهي تمسك بيديها عجله القيادة: "سأكون سعيدة الحظ لو لم أكن قد ضللت الطريق .لم أرَ أي لوحة إرشادية منذ بداية نزول الأمطار".

كانت تأمل في أن تصل إلى "لوجو" قبل منتصف اليوم، ولكن منذ "ساريا" وهي تسير تحت الأمطار الغزيرة، وكان السماء تريد أن تختجزها بالقوة ،ولم تستطع أن تبرر هذه المقولة التي تقول:

"من الأفضل الدخول ليلاً إلى "لا كوروني".

على الرغم من كل شيء ،كان صوت مسّاحات الزجاج، وأزيز محرك السيارة، وصوت المياه التي يرفعها العجل باعثًا لها على الطمأنينة، ولم تهدأ العاصفة، بل على العكس لم يكف هدير الرعد على الجبل والوادي، وهطول الأمطار الغزيرة من السماء المظلمة، وصواعق البرق التي تلمع للحظات قصيرة.

وصل إلى سمعها خوار يائس .لم تستطع أن تمنع نفسها من الإشفاق على هذا الحيوان المسكين الذي يعاني قسوة الطبيعة. ثم سعدت لفكرة أنها على مقربة من قرية، أو على الأقل مزرعة. لقد كانت متعبة جداً من شدة التوتر خلال ساعات القيادة الأخيرة.

www.rewayti.net

من خلال هذا الفيضان الذي يغرق كل ما هو أمامها ،حاولت في يأس أن تكتشف مسكنا ما من خلال أي إطار مضيء، ولكن للأسف كان كل شيء مظلما.

صاحت "سوانا" صيحة مختنقة عندما قفزت سيارتها، واخذ صوت المحرك يتقطع حتى توقف تماما. كان لا يزال أمامها بضعة أمتار لتصل إلى ما كانت تعتقده بر الأمان. أوقفت مسّاحات الزجاج التي لم يعد لها فائدة الآن.

أسندت رأسها إلى المقعد، وبقيت لحظة ساكنة مثقلة بهذه الضربة الاخيرة من القدر. عادت إلى الواقع عند سماعها هدير الرعد.

كانت الساعة تشير إلى السادسة مساء. إن ليالي بداية الربيع لازالت باردة، وليس معها أي غطاء في حقيبتها.

أدارت المحرك محاولة مرة أخرى. بقيت السيارة صامتة. لم يصدر المحرك أي صوت. لابد أنه قد تأثر من المياه والوحل.

تذكرت الآن توصيات صديقتها التي أعارتها السيارة:

-تجنبي بركَ المياه. إن السيارة حساسة من ناحية الرطوبة. إنها منخفضة جداً.

كم كانت حمقاء تلك الفكرة التي جعلتها تخترق ثلاث مقاطعات إسبانية في سيارة بمفردها دون أن تعرف أي شيء عن (الميكانيكا). لقد أرادت أن تنفرد بنفسها على الأقل - يوما واحدا- بعد الإثارة التي عاشتها في تلك الأسابيع الأخيرة، والتوتر العصبي الذي أحاط بها.

هذا المهرجان الموسيقي في "لا كوروني" كانت تحلم به خلال سنوات ،ولكن حتى ذلك الوقت كان هذا المهرجان جزءاً من عالم ليس عالمها .عالم المغنين ومؤلفي الموسيقى الذين نجحوا، والذين يستطيعون أخيراً التعبير عن مشاعرهم دون أن يعتبرهم الآخرون

مبالغين متطرفين.

-يجب أن أخرج من هنا، يجب ذلك.

إذا ما لم تقدم نفسها اليوم التالي قبل الساعة الخامسة مساء لمدير المهرجان فسيمحى اسمها من قائمة المشاركين، ولن يشقوا بها بعد ذلك أبدا.

في لحظة ما اعتقدت أن السماء نفسها تقف ضد مشروعها .

-إن "جوزيه" يعتمد عليها. إنه الآن في "لا كوروني" بالفعل. لقد كانت فكرته صائبة عندما ركب الطائرة وترك لها سيارته.

"جوزيه" يؤلف موسيقى أغانيها، وهو يستحق أن تبذل الجهد لكي تخرج من هذا الموقف السخيف الذي أوقعها فيه عنادها، ورغبتها في أن تسافر بمفردها.

ارتعشت.. لقد بدأت الرطوبة والبرد يدخلان السيارة، وليس هناك أي علامة على هدوء العاصفة. هبط الليل في تراخ، وزاد السماء ظلمة. بين برقتين استطاعت أن تلمح من خلال زجاج السيارة الذي أغرقته مياه الأمطار وجود نجمة صغيرة.

ولكن كانت السماء مليدة بالسحب. انتظرت حتى ترى هذا الضوء من جديد. قبل أن تقرر التفتت إلى خلف مقعدها وأمسكت معطفها المضاد للمطر، ولبسته بصعوبة في المساحة الصغيرة التي تفصلها عن عجلة القيادة.

زفرت: "إيه.. حسناً أتمنى على أية حال أن يكون الطريق المؤدي إلى هذا الضوء الذي لمحته قصيراً".

عقدت الإيشارب حول رأسها فوق شعرها الكستنائي، وفتحت باب السيارة وهي تجاهد الهواء لتخرج. أوقفها سيل الماء المثلج وجعلها تلتصق بالسيارة. انثنت إلى نصفين ممسكة بحقيبتها إلى صدرها، وتقدمت مدة ساعة تصارع الرياح أكثر من تقدمها.

www.rewayti.net

عزاؤها الوحيد الضوء الذي تراه من آن لآخر عندما ترفع رأسها لحظات قليلة لتتأكد من الطريق.

أخيراً وصلت إلى الحائط الحجري الذي يشير بالتأكيد إلى وجود أناس في هذا المكان. لقد كانت قريبة من أن تفقد شجاعتها، وقلبها يدق بسرعة بين ضلوعها، فيصعد الدماء إلى رأسها ويخنقها من شدة الخوف ومن شدة الوهن.

الضوء الذي أرشدها ليس سوى مصباح صغير يتأرجح في الهواء.

وسط حائط من الأحجار- التي رصت الواحد بجانب الآخر بواسطة أسمنت تحول إلى اللون الأسود بفعل الزمن- باب من الخشب السميك عليه أقفال من الحديد.

وقف هذا الباب حائلا بينها وبين المخبأ المأمول.

همست وسط الرياح التي تصفر حول المنزل، وتهز أفرع الأشجار، دون أن تحرك هذا الحاجز الثقيل الذي تستند إليه.

-يالله من قدر!

ضرب السماء برق أقوى مما سبقه، فأضاء الناحية كلها، وكأنه قد أمدها بقوة جعلتها تضرب الباب وتطلب النجدة. تتابعت ضرباتها على الباب وصرخاتها. وعندما فتح الباب اندفعت إلى الأمام.

قال الرجل الذي تلقاها بين ذراعيه:

-لقد كنت محقا! إنها ليست نداءات روح كما أوحت لنا مضيفتنا.. إنها عروس بحر قد ألقت بها أمواج المحيط في العاصفة.

جحظت عينا "سوانا" الخضراوان، وبقيت دهشة لحظة، لقد كانت هدفًا لنظرات أكثر من اثني عشر زوجاً من العيون.

بتلقائية فكت الإيشارب من حول رأسها الذي لم يعد سوى قطعة قماش لينة، والذي لم يفلح في حماية رأسها على الإطلاق. لقد تساقط الماء من شعرها الذي التصق على رأسها ورقبتها، فبدت كأنها

ناجية من الغرق.

فكت أزرار معطفها بأصابعها المتجمدة، فسقط على الأرض مكونا بركة من الماء عند قدميها المغطتين بالوحل. بدا الخوف والتعب على وجهها الشاحب، ولم تفلح الحرارة اللطيفة المنبعثة من المدفأة الكبيرة التي تتوسط الغرفة أن تزيل شحوب شفتيها أو تمنعها عن الارتعاش.

كانت ستبقى في مكانها على هذا النحو دون أن تجرؤ على الحراك ما لم تتقدم نحوها امرأة بدينة وأخذتها إلى مقعد قريب من النار.

كان ضوء الحجرة خافتا، ولم يضئ النور المنبعث من المدفأة الموجودين إلا جزئيا. لقد كانت هناك عدة مقاعد مشغولة حول المدفأة.

انبعث من مصباح يعمل بالكيروسين ضوء برتقالي أضاء الوجوه الداكنة التي جلست بعيداً حول طاولة ريفية. لقد توقف الحديث عند دخول "سوانا"، ثم عادت من جديد عندما بدأت السيدة تهتم بالفتاة الشابة، وتجفف شعرها وتقدم لها ماء دافئا في وعاء لتغسل قدميها.

لم تكن اللغة المستخدمة بين الحاضرين مألوفة بالنسبة لـ"سوانا"، ربما تكون لغة محلية بين الإسبانية والبرتغالية. كانت مشغولة بتدفئة نفسها فلم تنصت إلى الحديث. كانت هناك رائحة حيوانات تفوح من آن لآخر، كما كانت تسمع صوت البهائم كأنه يخرج من الحوائط.

قبلت "سوانا" في عرفان بالجميل طبق الحزف الذي قدم إليها. واغرورقت عيناها بالدموع عندما وصل إلى أنفها رائحة الحساء الشهية. استقبال طيب بدون أسئلة و طعام ليهدئ جوعها ومخاوفها، وليسري فيها الدفء، لتتخلص من عناء الطريق. كل ذلك يجسد كرم ضيافة هذا الشعب.

لم تكن تشعر أبدا من قبل بهذه الوحدة،ولكنها لن تنسى أبدا هذا المكان الذي أفسح لها فيه هؤلاء الغرباء مكانا ليواسوها من عناء الطريق، ويحيطوها بالدفء والرعاية.

www.rewayti.net

أنهت قطعة الخبز ووضعت في الطبق الفارغ ملعقتها .مدت إليها يد على الفور لتأخذها، بينما قدمت لها يد أخرى القهوة الساخنة. إنها تشعر بالدفء الآن، ولكنها ارتعشت عندما لمست الكوب الساخن.

جاء الرجل الذي يجاورها على الفور من جانب المدفأة، وأخذ من على كتفيه غطاء من الصوف السميك ولف به جسد الفتاة الشابة في لطف قبل أن يعود إلى مكانه دون أن ينبس بكلمة.

رفعت "سوانا" رأسها دهشة وتمتمت بكلمات الشكر.

-شكراً...

أجاب الرجل بصوت أجش يأتي من الفضاء:

-عفواً:

في ضوء المدفأة الخافت استطاعت بالكاد أن تلاحظ ابتسامة تكشف عن أسنان ناصعة البياض، وعينين سوداوين لامعتين ،وشعر أسود غير مصفف .خلفها عزفت أوتار جيتار موسيقى حانية قطعت الصمت.

شعرت "سوانا" بالراحة، واعتادت عيناها الظلام. أدركت "سوانا" أن رفاقها ينتمون إلى مجموعتين منفصلتين: عائلة من الفلاحين تتكون من ثلاثة أجيال متتابعة، وأربعة رجال يرتدون ملابس مدنية..واحد منهم من كان يعزف على الجيتار، وواحد أكبر سنا يغفو في ركن المدفأة، والرجل الثالث الذي كان يجلس في الظلام، وقدم لها الغطاء، والرابع كان قد فتح لها الباب.

قال هذا الأخير وهو يضع مقعده بالقرب من "سوانا" :

-من أين أتيت يا عروس البحر؟

-من "مدريد" .

ضحك.

-سيراً على الأقدام؟

-سيارتي في مكان ما في آخر الطريق، لقد وصل الماء إلى المحرك. أين نحن؟

-ألا تعرفين؟ إلى أين أنت متوجهة؟

همست "سوانا" في يأس:

-"لا كوروني" ولكن بسبب هذه العاصفة ضللت الطريق .كنت أظن أنني وصلت إلى "لوجو" ما لم أكن قد ابتعدت أكثر.

-"لوجو" ؟ أنت أبعد كثيراً ! إنك في الجنوب في اتجاه "أورانس" في قلب الجبل.

همست في يأس:

-إذن لقد فسد كل شيء. يالي من حمقاء .لابد أنني أخطأت عند مفترق "ساريا" .

-لم تفقدي شيئا.

-أخشى ذلك ..لابد أن أكون في "لا كوروني" قبل الساعة الخامسة غداً.

سأل الرجل في اهتمام:

-من أجل المهرجان؟

-نعم.

-هل أنت مهتمة بهذه الحفلات إلى هذا الحد؟

-سيكون هناك العديد من المتخصصين هذا العام.

-وتحبين أن تكوني بالقرب من النجوم.

تغير صوت الرجل. لقد بدا حزينا، ويشوبه بعض الضيق.

دهشت "سوانا" ثم فكرت وانتهت بأن ضحكت.

قال الرجل:

-ما الذي قلته يضحكك؟

قالت وهي تهز رأسها:

www.rewayti.net

-لاشيء.

لقد جف شعرها الآن.. أصبح لامعًا كالذهب في ضوء المدفأة.

-إني أضحك من نفسي .ليس لدي اي فكرة عما قد أشعر به عند مخالطتي... للنجوم أو الاسماء الكبيرة في عالم الفن. إني أشعر بأنني حتى لو كنت وحدي كنت سأذهب إلى "لا كوروني"

-لماذا إذن؟

-يجب أن يكسب الإنسان عيشه بطريقة أو بأخرى.

-هل أنت صحفية؟

كان صوته في هذه المرة متشككا.. قليلا.

-لا. لكني أعرف أن أضع الكلمات جنبا إلى جنب وأكوّن أغانيَ، ولي صديق يقضي حياته في تأليف الموسيقى.. و بما أن الطبيعة قد وهبتني صوتا محتملا -وللأسف ليس عبقريا- وجدت نفسي مأخوذة إلى عالم الأغنية الغريب.

-هل أنت واحدة من المشتركين في مسابقة المواهب الشابة؟

أجابت "سوانا" متنهدة في أسف ينفطر له القلب:

-نعم.

-لابد أنك سعيدة جداً. إنها فرصة فريدة.

-هذا ليس حالي. إني خائفة للغاية. سأجد نفسي بمفردي على المسرح أمام لجنة تحكيم وجمهور. لو كنا نعرف من يقدمنا، ولكن للأسف لا أنا ولا "جوزيه" ننتمي إلى وسط الأغنية، ولا نعرف مغنيا أو مغنية تتحمس للدفاع عن لون غنائنا. عليَّ إذن أن أتصرف.

-هل لديك فكرة أن مجرد اشتراكك في المهرجان هو بدون شك فرصة حياتك؟

-شيء ما بداخلي يردد ذلك. لكن...

جاء صوت آخر من الظلام يشترك في المحادثة جعل القشعريرة

تسري في ظهرها:

-ألقي كلمة "لكن" ، غني بكل قواك وبكل روحك، ورددي حتى النهاية، لا تدعي الفرصة تفوتك" .

لم تجد شيئا تعترض به على هذا الأمر المجهول. لم يفصح رفاقها عن شخصياتهم، وبدا كأنهم لا يريدون ذلك.

بعد قليل جاءت السيدة الفلاحة لتخبر "سوانا" بأنها ستقاسم فتياتها غرفتهم. كانت الفتيات ينتظرن إلى جوار والدتهن وفي أيديهن شمع صغير. ألقت "سوانا" بتحية المساء للمجموعة، وتسلقت السلم الخشبي حتى الطابق العلوي.

بمجرد أن استقرت في السرير وعلى طرفيه الفتاتان، وقد لبست رداء نوم من قماش خشن انتبهت إلى أنه لا يزال لديها مشكلة لم تحل، وهي :كيف ستصل إلى "لا كوروني" ؟

همست وهي تستسلم للنعاس:

"غدًا يوم آخر" .

لقد أدخل الصوت الأجش إلى نفسها القوة، وشحذ عزيمتها الخائرة. لقد أقنعها الرجل بأن تتمسك بفرصة الاشتراك في المهرجان. لقد بدا لها أنه ليس من المعقول أن يوقفها حادث ميكانيكي بسيط عن هدفها، ويمنعها عن الذهاب إلى موعدها مع القدر.

أيقظها من النوم صياح ديك. وجدت مشقة كبيرة في أن تعرف أين هي. كانت بمفردها في السرير الريفي بين الأغطية الصوفية السميكة، والوسادات الدافئة المحشوة بالريش ومكسوة بالساتان الوردي.

خلال الشبش الخشبي الثقيل لشباك الغرفة تسلل ضوء النهار. لابد أن الشمس تضيء الريف الذي أغرقته أمطار البارحة. ألقت نظرة إلى ساعة معصمها فوثبت من فوق السرير.

ارتعشت من الهواء البارد، ولم تدع مزيداً من الوقت يمر.. فارتدت

www.rewayti.net

ملابسها. الفستان والحذاء البني كلاهما نظيف. علي الطاولة كان هناك دورق ماء دافئ و وعاء من الخزف الملون ينتظرها.

عندما نزلت إلى الصالة الكبيرة التي استقبلتها البارحة كانت في ترتيب تام، وبدت خالية، ثم لمحت سيدة عجوز كانت واقفة أمام الموقد تراقب وعاء الحليب.

أشارت لـ"سوانا" إلى الوعاء وقطعة الخبز الموضوعة على الطاولة ثم، أحضرت الحليب الساخن. وهي تتناول في شهية هذا الإفطار الريفي طافت الفتاة الشابة بعينيها على كل ما يحيط بها.

بلاط الأرض متهالك بفعل الزمن ولكنه نظيف. كمرات السقف مسودة ينزل منها حزم قمح وبصل وثوم، وقد ابيض مكانها على الحائط. أظهر كل شيء في هذا المكان بساطة وتواضع مضيفيها في الليلة الماضية.

بمجرد أن انتهت من الإفطار، أشارت السيدة العجوز إلى باب الخروج، وحثتها على الخروج في لغة تشبه لغتها الأم . ابتسمت "سوانا" وهزت رأسها مع كل جملة جديدة تنطق بها السيدة. أدركت على الفور سبب هذه الحركة.

كانت سيارتها لا يزال عليها الوحل يغطي لونها البيج ،تنتظر في الفناء الداخلي للمزرعة، ووقف حولها مجموعة من طيور المزرعة. أطارتهم العجوز.

سألت "سوانا" دون أن تنتظر إجابة:

-كيف؟

فتحت الباب، وأدارت المفتاح.. دار ربع دائرة ثم حاولت مرة أخرى وهي تحاول أن تترجم الكلمات التي تنطق بها السيدة.

وأخيراً عدلت عن محاولة الفهم. ثم رأت ورقة موضوعة على المقعد المجاور.

"لقد كان لي أنا أيضا سيارة متقلبة المزاج. لا تدعي موعدك مع الحظ يفوتك، وجازفي حتى تفوزي. .م.ف .

جذب صوت المحرك كل أفراد العائلة الذين التفوا حولها. نزلت "سوانا" لتودعهم.

كان اليوم قد تقدم، بالفعل ولا يجب أن تتأخر أكثر من ذلك لتستأنف الطريق.

صافحت الجميع، وأدركت بسرعة أنهم لن يقبلوا أي مقابل لاستضافتهم الكريمة لها.

وعلى الرغم من ذلك، كان عليها أن تشكر هؤلاء الكرماء بشكل آخر سوى الكلمات. تذكرت علامات إعجاب الفتاتين أمام حبات اللؤلؤ الملونة التي تبعد شعرها عن وجهها.

فتشت في حقيبتها ،وأخرجت كيسا به مجموعة من هذه الحبات، ومدت يدها بها إلى رفيقتيها الصغيرتين. بدا الجميع سعداء.

لم يكن لهذه الهدية قيمة كبيرة، ولكنها ستكون ذكرى بينهم في هذه القرية النائية حيث لا تجد الفتيات ما يشبع رغبتهن في التزين.

لوحت بيدها قبل أن تستأنف الطريق الذي امتد بين البساتين. تحولت أشجار التفاح إلى ربطات ضخمة من الزهر الوردي والأبيض ،ولقد نثرت العاصفة عدداً كبيراً من الأوراق فافترشت المراعي والطريق بمئات من النقاط البيضاء ،فحولت الربيع إلى شتاء.

الفصل الثاني

-هأنت أخيراً!

بمجرد أن وضعت قدميها في الفندق حيث ينزل المشاركون في

www.rewayti.net

المهرجان حتى أسرع إليها "جوزيه" كالإعصار. معلومات وأسئلة وإجابات كلها ضاعت في حوار يشبه حوار الصم.

-لقد فاجأتني...

-حجرتك رقم٢٦ الدور الثاني على اليسار.

-...عاصفة والسيارة.

-أمامك ساعة لتستبدلي ملابسك. لقد مر الموقف بسلام.

تأرجح مفتاح الحجرة في يد "جوزيه" وهو يقودها بخطى سريعة على السلم وفي الردهات جاذبًا إياها من ذراعها.

-لدينا تجربة عرض صباح الغد نحو العاشرة.

-اضطررت أن أقضي الليل كله في مزرعة ،و...

-سنكون في المركز الثالث، موقع ليس سيئا.. لكن أين اختفيت؟

انتهى من فتح باب الغرفة رقم ٢٦ ثم التفت إليها. زفرت "سوانا" أمام وجه صديقها الذي بدت عليه علامات التوتر. عدلت عن الاستطراد في شرح أسباب تأخرها مالم تكن قد قابلت هذا الرجل ذا الصوت الأجش المقنع .لكان "جوزيه" سينتهي بأن يصيبها بالإحباط.

-إنني هنا الآن.. اهدأ. دعني آخذ دشا وأستعد للقائنا بالمدير.

أغلقت الباب قبل أن يستطيع أن يضيف كلمة واحدة.

بعد بضع دقائق كانت تغوص حتى رقبتها في الماء الساخن. استرخت وزفرت زفرة طويلة في ارتياح. إنها لم تفتها المرحلة الأولى من موعدها مع الحظ.

ثم عادت إلى "جوزيه" هادئة ومبتسمة في بهو الفندق. المسكين لم يكن قد هدأ حتى الآن تماما. هذا المهرجان الكبير يهمه بدرجة كبيرة، ولكن يبدو أن الأمل في النجاح يحفزه بشكل يثير توتره.

بعد أن أكد مشاركتهم و تفقّد تركيبات المهرجان والصالة التي خصصت لهما لإجراء التجربة ذهبا ليتريضا بطول المحيط.

انتظرا الغروب الذي سينعكس ضوءُه الأحمر على النوافذ الزجاجية لمباني الميناء ،ثم ينعكس على الماء فتتحول مدينة "لا كوروني" إلى مدينة من الكريستال.

في شرفة أحد المقاهي تناولا العشاء: طبق كبير من السمك الطازج وفواكه البحر. شرفات المنازل المواجهة التي تدلت منها ربطات البصل أثارت اهتمامها. جاء إلى مسامعها من الشارع الصغير المجاور صوت موسيقى ذكرتهما بالموسيقى القادمة من "أيرلندا" وبلاد الغال.

في هذه الليلة التي تسبق المهرجان، كانت الحوائط مغطاة بالملصقات التي كتب عليها البرنامج. كانت المسابقة ستجرى على ثلاث مراحل.. كان "سوانا" و"جوزيه" يعرفان ذلك.

عدد من الفنانين المتخصصين في المنوعات سيقدمون عروضهم قبل المسابقة، وبعدها كان هناك اسم مشهور جدا كتب بخط أكبر عشر مرات من الآخرين "ميجول فارجاس".

تمتم "جوزيه" :

-لو أستطيع أن أجد أحداً منهم يهتم بموسيقاي!

-بالتأكيد سيكونون منشغلين جدًّا حتى أنهم لن يهتموا بنا نحن المبتدئين المساكين.

صاح "جوزيه" مستاءً من جهلها:

-لكن... هم يكوّنون طاقم الحكام!

-هم؟

-من أفضل المحترفين الذين يستطيعون التحكيم.

-أوه! لقد أدركت سبب عصبيتك. كيف سأبدو بصوتي هذا الذي يشبه صوت كورال تحت التدريب؟

فقدت "سوانا" لبضع دقائق ثقتها بنفسها التي كانت قد اكتسبتها بعد مقابلة الأمس. الأسوأ من ذلك أنها شعرت بأنها غير قادرة على

www.rewayti.net

الدفاع عن اللون الموسيقي الذي تبنته هي و"جوزيه".

نظرت إلى قائمة الشخصيات، وحاولت أن تتذكر الخصائص الفنية لكل منهم.

هل سيكون للنص الذى ألفته والموسيقى التي وضعها "جوزيه" الحظ في أن ينالا إعجابهم؟ إن بعض النجوم يؤلفون بأنفسهم أغانيهم كلها أو جزءا منها. ماذا سيحتاجون منهم؟ إلا أن يثبت أكثرهم شهرة، وعلى الأخص "ميجول فارجاس"، أنه مغن بارع عندما يغني الكلمات التي كتبها بنفسه؟

إذا كانت سهرتهما في المدينة في هواء المحيط قد هدأت "جوزيه" قليلا فقد هبط جو الشوارع المفعم بالحركة، وحشود الناس التي اقتحمت "لا كورونيي" من عزيمة "سوانا"، فبدلا من إجراء بروفة على المسرح فضلت أن تذهب لتتنزه على شاطئ الأطلنطي. هناك عالمها الخاص بها.

فبدلا من مشاركة الآخرين في صخبهم غير المفهوم أحيانا، كانت تفضل أن تكون مجرد متفرجة. في الهواء الطلق أنصتت إلى حفيف أوراق الأشجار، وتأملت الأمواج التي تتكسر عند الصخور، وشكرت الشمس لأنها تدفئ الأرض وتنثر أشعتها الذهبية في كل مكان.

كانوا يسألونها أحيانا:

-ماذا تنتظرين؟

وفي الواقع كانت تنتظر دون أن تعرف من أو ماذا. هذا الانتظار كان الجزء الأكبر أهمية في حياتها، ولكنها لم تكن تعرف بماذا تسميه.

حاولت أن تعرفه وأن تعطيه أسبابا مقنعة للذين يحيطون بها، والنتيجة كانت الكلمات التي ستغنيها مساء غد أمام مئات من الغرباء.

غرباء بالنسبة لها التي تعتبر نفسها غريبة أينما ذهبت. هل وجدت النتيجة؟ كيف يستطيع المرء أو ماذا ينتظر من الحياة عندما لا يعرف حتى أين يريد أن يعيش، ومع من؟

كان العالم يبهرها في تنوعه، ولكنه لم يكن بالنسبة لها أيضا سوى مكان أفضل من غيره.

أحيانا كانت تصيح مخاطبة الهواء والبحر أو الجبال:

-سأبقى هنا.

ولكن كل ذلك لم يوافقها أبدا على قرارها العادل. عندئذ كانت ترفع كتفيها، وتأخذ حقائبها.. تأخذ معها جذورها، وتنتظر إشارة أرض أخرى ترغب في استقبالها لبضعة أيام أو بضعة أشهر أو بضع سنوات.

لم يكن هناك في مفردات لغتها كلمة نهائيا.

عندما كانت أصغر سنا كانت تجد سعادة غريبة في أن تقول:

-والدي بوهيمي.

كانت تدهش رفاقها عندما يتركها والدها في البنسيونات الفخمة عندما لا يستطيع أن يأخذها معه في مهماته الخاصة أو الدبلوماسية.

وعندما كبرت اكتشفت واعترفت لنفسها في حزن:

-إن لي أنا أيضا نفسا بوهيمية.

في هذه الليلة التي كانت تشبه ليلة استعداد الجيش للقتال، كانت تريد أن يكون لها بيت حقيقي، وعائلة تسكن منذ أجيال بعيدة نفس الأرض. شيء ما تستطيع أن تجده دائما وفي كل مكان حتى تشعر بالأمان. إن والدها اليوم في الشرق أو في الغرب.

إنها تريد بيتا.. وطنا مثل هذه المزرعة الفقيرة التي لاذت بها الليلة الماضية، مثل هذا البلد الذي تقيم فيه على الرغم من أن سكانه يمزقهم الفقر ويدفعهم للهجرة. إنهم على الأقل يحملون في قلوبهم الحنين إلى وطنهم الذي ولدوا فيه ويرفعون رءوسهم فخراً عند الحديث عن بلادهم، ويتألمون أيضا عند الهجوم عليهم، ويبكون لأنهم اضطروا إلى النزوح عنها.

كانت "سوانا" تحتاج إلى ملاذ في هذه الليلة بشكل طبيعي. عادت

www.rewayti.net

بأفكارها إلى المزرعة تحت الأمطار الغزيرة في هذا المكان لليلة واحدة عرفت الراحة ومعنى أن يضمها بيت ينعم بالدفء و الحنان. ما الذي ينتظره الإنسان من الحياة أكثر من ذلك؟ هل ستصدق كلمات أغنيتها؟:

حول كل الأرض أبحث عنك
حبيبي أنت مختبئ . .أرجوك
أجبني
إني آمل أن أراك، أناديك وأصرخ:
تعال يا حياتي، روحي تبكيك

هل سيأتي الرجل الذي يثبت جذورها في أرض ما؟ يكون لها- في نفس الوقت- العائلة والوطن؟ هزت رأسها وطردت شعورها بالقلق. هذا النص لم يكن سوى استنتاج سابق لأوانه لتهدئ من قلقها. شخص آخر سألها مرة أخرى: "ماذا تنتظرين؟"

للحق لم يكن لديها الإجابة، ولم تكن تحاول حتى أن تجدها. لم تكن تفعل سوى أن تنطلق بين النسمات، أو أشعة الشمس الذهبية أو الأمطار، تمتزج بظواهر الطبيعة، تقدر الواحدة وتأسف لأخرى، تجمع في ذاكرتها ملامح الوجوه، الانطباعات، تجمع الكلمات التي تعبر عن كل ما تموج به نفسها.

*****

غداً سيكون أول لقاء لها مع الجمهور. ستشعر ببعض الأمان مع وجود الموسيقيين والكورس. جميعهم سيكونون ودودين جداً، ويؤكدون لها أيضا أن أغنيتها، جيدة وأنهم سيساعدونها بقدر استطاعتهم.

وبدلا من الاستسلام فيما تبقى من النهار للقلق دفعت "جوزيه" إلى

القيام بزيارة سياحية للمدينة. ساعد عدد درجات السلم الذي صعداه على تهدئة أعصابهما وتفريغهما من الإثارة التي تسبب لهما الارتعاش.

نحو الساعة الرابعة عادا إلى الفندق ليستعدا.

عهدت "سوانا" بشعرها وماكياجها ليدي أحد المحترفين الخبراء .إنها لا تستطيع أن تقوم بهذه المهمة بشكل صحيح.

صفف لها مصفف الشعر تسريحة كلاسيكية بعد أن عرف الفستان الذي سترتديه.

لقد تناسب فستانها الحريري الأخضر الذي اختارته بشكل رائع مع لون عينيها وبشرتها البيضاء .لم يسعف الوقت "جوزيه" ليعطيها رأيه في اختيارها هذا.

وقفت "سوانا" مختبئة خلف الستائر التي تغطي المسرح تسمع المتسابقين الذين سبقوها في الدور. كان لواحد منهم صوت ساحر. عندما سمعتهم ينادون اسمها شعرت بأنها غير قادرة على التقدم خطوة واحدة نحو دائرة الضوء في مواجهة الجمهور الأنيق الموجود في الصالة حول الطاولات المزينة بالورد وزجاجات الشراب.

هذا ما كانت تخمنه؛ إذ إن عينيها لم تستطيعا أن تستنتج سوى بقع من الضوء تتخللها ألوان فساتين السهرة وبريق الفضة والكريستال.

شعرت بنفسها تندفع إلى الأمام بفعل دفعة في ظهرها.

• هيا يا "سوانا"، بحق السماء هيا!

كانت همسة "جوزيه" رجاء. وعندما تقدمت العشر خطوات أو الاثني عشرة خطوة التي تفصلها عن الميكروفون اعتقدت أنها تسمع صوتاً أكثر قوة يشجعها: "لا تدعي الفرصة تفوتك".

بدأت أغنيتها بهمسة؛ إذ كان صوتها محشوراً في حلقها من فرط التخوف. شبكت أصابع يديها في شكل دعاء ودون أن تنتبه لذلك

www.rewayti.net

توافقت حركاتها مع كلمات الأغنية. عرفت إذن أن هذه الكلمات لها علاقة بحياتها.

خلال الفقرات الموسيقية التي تفصل بين المقطع والآخر من الأغنية كانت تشعر بأنها غريبة بدون سبب واضح. أخذ اعتقادها يزداد بأن هناك شخصا ما في مكان ما ينتظرها ويساعدها.. "الموسيقيون، الكورس، "جوزيه" ...

رفعت جبينها وابتسمت من حماقتها. إنها لم تعد خائفة الآن. لقد كانت -مع ذلك- سعيدة.

حول أحلامي أجدك
تضحك، تبتسم
تسحرني، تبهرني
أحتضنك.. أقبلك وأغني
لحبنا الذي انتصر على كل العالم.

كان الصمت كاملا في الصالة، وعلى الرغم من ذلك، شعرت بأن قلوب المشاهدين تدق بشدة وأنفاسهم تتوافق مع أنفاسها.

شعرت بحرارة تغمرها، حرارة نابعة من أعماقها وليس بسبب الأنوار الشديدة التي تضيء المسرح وتنعكس على فستانها الذي يتحرك ببطء مع كل حركة منها.

كانت "سوانا" مقتنعة بأنها على حق .لم تكن تعرف من سيكون، ولكنه سيكون رجلا وسيعيد لها الحياة التي سرقت منها: الاستقرار والحب.. تحت أي شكل؟ لم يكن لذلك أي أهمية. لقد كانت متأكدة تماما.

لقد انتظرت طويلا وتستطيع أن تنتظر أكثر من ذلك.

قريباً جداً من قلبي تقترب
أشعر بقدومك

أتنبأ بوجودك
خذ يدي، خذ حياتي، لا تتخل عني
لقد وجدت طريق السعادة

*****

استلأت الصالة بالتصفيق مما أخرجها عن هذا الشعور الجميل الذي كانت تشعر به وهي تغني. هذه الأغنية لم تكن مجرد أغنية. إنها حدسها الذي تكشف عنه بصوت عال... أمام المئات من المتفرجين والآلاف من المستمعين.

تورد خداها، وحيت الجمهور لتخفي ارتباكها. يا لها من جراة مجنونة أن تفصح عن سرها أمام العالم! هربت وأسرعت تغادر المسرح لترمي نفسها بين ذراعي "جوزيه" الذي كان ينتظرها خلف الستار.

لقد كنت مدهشة. أنت لم تغني بهذه الجودة من قبل.

أخيراً نجحت في أن تقول وهي تضحك في عصبية لتخفي ارتباكها:

-أوه.. إنه اكتشاف بالنسبة لي.

شعرت بأنها مكشوفة أمام الجميع كما كان حال روحها منذ لحظات.

شجعها الآخرون بكلمات الإعجاب، واستمعت كأنها تعيش في عالم آخر نتيجة الامتحان الأول. وإذا كانت قد استغرقت بضع ثوان لتتأكد من أن هذه النتيجة حقيقية فمن المؤكد أنه سيلزمها ساعات طويلة على هذا الاكتشاف الذي سيغير مجرى حياتها. قبل ذلك كانت مرحلة طفولتها، وبعد ذلك ستكون مرحلة نضوجها، وفي الانتظار ماذا سيكون هنالك؟

لكي يتحلى الجمع الموجود بالصبر أثناء عمل طاقم التحكيم، تم

www.rewayti.net

تقديم العشاء ،وسيكون أمام المغنّين الذين اختيروا للجولة الثانية الوقت لاستعادة لياقتهم والاستعداد مرة أخرى.

وبينما كانت تغني إحدى النجمات المدعوات بناء على طلب الجميع تناولت "سوانا" سندوتش صغيرا فأوصاها "جوزيه" -وهو لا يزال فريسة للقلق-:

-لا تملئي معدتك كثيراً. أشعر بأنك ستكونين ضمن التصفية الثانية وستغنين هذه الليلة.

وصدق تخمينه. لقد احتلت المركز الأخير ولكنها لم تهتم بذلك.

لقد كان لديها كل الأسباب لكي تعطي أفضل ما لديها. كانت تريد أن يشاركها الآخرون أغنيتها، وهذه الصرخة الصادقة النابعة من قلبها .لن تتورد من ذلك مرة أخرى.

إذا كان صوتها ليس بنفس قوة مشاركات أخريات، فلقد كان لها حضور قوي. لقد كانت الوحيدة التي تستطيع أن تغني بصدق الكلمات التي ألفتها. وهذا ما استشفه طاقم التحكيم. لهذا السبب اختاروها في الجولة الثانية. إنها في التصفية الأخيرة.

تحرك "جوزيه" حولها كأنه دجاجة أم تعتني بفرخها .لف كتفيها وعنقها بشال بمجرد أن خرجت من المسرح ودفعها لتتوجه إلى السرير.

-يجب أن تكوني في كامل لياقتك غداً.

حاولت أن تعترض.

-لكني أريد أن أسمع المغنين الذين سيغنون الآن و أستطيع بعد ذلك أن أستريح.

-لا يمكن. لقد قاربت الساعة من منتصف الليل. سأحضر لك شيئا لتأكليه من الفندق، وتنامي على الفور ستستمتعين بوقتك عندما تربحين.

-أنت مجنون تماما.

-لا، بالتأكيد. لم يسعفك الوقت حتى تعرفي ما هو التأثير الذي تحدثينه وأنت على المسرح . لقد كان جميع المشاهدين تحت سحرك.

-هناك ثلاثة مرشحين للنهائي يتمتعون بأصوات رائعة وأغنيات جيدة جداً .لا يمكننا أن نقع في الشرك.

-ارحمي نفسك. ستسير الأمور على خير. إني واثق بذلك و شاعر بـ... كان هناك هاتفا يهتف لي في أعماقي. هذا هو حظنا، دعينا لا نترك القطار بسبب قلة الإيمان يا "سوانا" .

-نعم.. "لا تدعي الفرصة تفوتك" لقد قيل لي ذلك من قبل.

ولكنني لا أعرف كيف سأكون أفضل مما كنت عليه هذا المساء. يجب ذلك حتى أصل إلى النصر.

توقف انبهارها باكتشافها. سينتهي بها الأمر- عندما تستيقظ اليوم التالي -بأن تقنع نفسها بأنها كانت تحلم. لن تستطيع أن تغني بنفس الحماس الذي غنت به هذه الليلة. ولن تستطيع أن تعوض ذلك بصوتها المتواضع.

قبل بداية الجولة النهائية كان "ميجول فارجاس" نجم الأغنية اللاتينية الأمريكية المشهور الذي يقيم في "أوربا" منذ عدة أشهر يستعد للصعود على المسرح لمدة ساعة. كان بعض المتسابقين في الكواليس يقفون خشية أن يفوتهم دورهم. رأوه وهو يتقدم نحوهم. كان بمفرده. القليلون الذين كانوا يحيطونه توقفوا قبل بضعة أمتار. وتقدم النجم المشهور في بطء مرتديا ملابس داكنة يتمنى ويخشى في نفس الوقت أن يكون وجها لوجه مع الجمهور الذي يحبه ويلح عليه أيضا بالطلبات.

حول "سوانا" كانوا يعلقون على الملابس التي يرتديها المغني المشهور: طقم ثلاث قطع "جاكيت" و"جيليه" وقميص حريري بلون العاج، كان حذاؤه من الجلد الطبيعي، من الواضح أنه إيطالي المنشأ.

www.rewayti.net

ملابس بدون شك غالية جداً ومريحة جداً وقمة في الاناقة.

همس أحد المتسابقين:

-يا إلهي! هل مع كل هذه الاناقة يحتاج إلى الغناء حتى يصفق له الناس؟

قال صوت آخر مختنقا من الضحك:

-يكفيه أن يبتسم.

أجابت متسابقة أخرى لا تستطيع أن ترفع عينيها عن الوجه الأسمر المرفوع كأنه ينتظر أن ترفع الستار.

استطردت:

-لقد بدأ مثلنا . اتمنى أن يكون لي نفس الموهبة والمثابرة والشجاعة لكي أفعل مثله.

بدأت الفرقة الموسيقية في العزف. أخرج "ميجول فارجاس" يديه من جيبيه ودخل المسرح وسط هدير التصفيق والصرخات.

وعم الصمت عندما بدأت الموسيقى تعزف مقدمة أغنية من النجاحات العالمية للمغني المشهور.

منذ الكلمات الأولى كادت "سوانا" أن تتعلق بستارة المسرح حتى لا تسقط في ضوء المسرح الخافت البرتقالي. رأت من جديد هذا الرجل الوسيم ،وسمعت صوته القوي الدافئ، وتذكرت أنها سمعت نفس الصوت.

ألم يأمرها هذا الصوت منذ يومين: "لا تدعي الحظ يفوتك!"

بقيت حائرة بضع دقائق. لهذا السبب إذن لم يقدم رفاقها في الليلة العاصفة أنفسهم ،ولهذا أيضا بدا أحدهم قلقا عندما أفصحت عن وجهتها. وأدركت أخيرا معنى الأحرف الأولى التي كتبت في نهاية الرسالة التي وجدتها في سيارتها.

قالت لنفسها : "لقد أمضيت ليلة مع "ميجول فارجاس" واحد

أعضاء لجنة التحكيم، ولقد ساعدني على الخروج من المأزق الذي كنت فيه.

إذا علم أحد الصحفيين الموجودين هنا بهذه المصادفة فسيعتبرها حفنة صحفية إن لـ"ميجول فارجاس" شهرة كبيرة في عالم المغامرات العاطفية، وسيتحول لقاؤهما بالمصادفة إلى موعد غرامي سري، وقد يعتبر البعض أن هناك غشا في المسابقة إذا ثبت لقاؤهما.

استطربت قليلا لهذه الفكرة .إن تفكيرها هناك على المسرح حيث هذا الطرب الذي يحبي الجمهور بعد أغنيته الأولى. بإشارة من يده طلب من الفرقة الموسيقية أن يبدءوا الأغنية التالية مقاطعا التصفيق. ساعة واحدة، لم يكن أمامه سوى ساعة واحدة ينقل فيها رسالته.

كان هناك في الكلمات و في الموسيقى وفي الصوت وفي وجه الرجل مسحة حزن أو شيء من الفرحة، أو من الحنان، أو العنف في حركته ونظرته، فيها شيء من القوة والعذوبة، في نفس الوقت شيء ما يبعث فيمن يسمعه السلام والسعادة، قليل من الانفعال والعاطفة. إنه الحب الموجه إلى المرأة أو الطفل أو الصديق أو الوطن.

في تحية أخيرة وابتسامة أخيرة انسحب خلف الكواليس قبل أن يختفي في الردهات. أما "سوانا" فقد كان اختفاؤه بالنسبة لها كانطفاء الأنوار واختفاء العالم.

عندما أضيء نور الصالة والتقط الجمهور أنفاسه، كانت النساء متأثرات حالمة والرجال متأثرين. كان المتسابقون للدور النهائي يستعدون. شعرت "سوانا" بيد تربت ذراعها.

همس "جوزيه" في أذنها:

-حينما كنتك رأيت شبحا. أنت شاحبة. لحسن الحظ أن دورك سيأتي بعد هذا العملاق. إني مشفق على المغني الذي سيغني بعده.

همس أحد المتسابقين وكان واقفا بالقرب منهما:

www.rewayti.net

-يا إلهي.. لا يوجد بيننا من يستطيع منافسته. لا أحد يفكر في عقد مقارنة.

همس متسابق آخر:

-لنتمن ذلك .شعرت للحظات بأنه يغني بكل كيانه...إنه مغنٍ محترف وحساس ولا يترك شيئا للمصادفة.

قالت "سوانا" :

-غنِّ بكل قوتك بروحك وبإحساسك.

قال "جوزيه" وهو لا يعرف معنى تلك الكلمات بالنسبة لها:

-هذا تماما ما يجب عليك أن تفعلي.

هزت الفتاة الشابة رأسها بالإيجاب. الآن أصبح لديها السبب لتغني أفضل من أي وقت مضى. لقد وجدت الشخص الذي ستغني له بكل قوتها. شعرت بنفس الانفعال العاطفي الذي تملكها بالأمس. حتى لو لم تكن مدركة لذلك تماما فلقد بدأت تبلور إحساسها تجاه شخص محدد. ستغني الكلمات التي ألفتها بصدق لأنها هي الحقيقة.

عندما جاء دورها تقدمت إلى المسرح دون أي ارتباك. كانت تماماً مثل الفتاة الصغيرة في أول لقاء غرامي لها. عندما بدأت الفرقة الموسيقية في العزف أغلقت "سوانا" عينيها لحظات.

قالت لنفسها : "هذه هي المرة الأخيرة التي أعتلي فيها المسرح. أنا لست فنانة حقيقية. لن أنخدع برد فعل الجمهور. لن أكرر هذه الخطوة. إنها لم تعد هدفي. حياتي في مكان آخر...

حول الأرض أبحث عنك...

*****

لم يكن التصفيق بالنسبة لها حارا ولا باردا مما قوى لديها الإيمان

مكانها ليس هنا تحت الأضواء، ولكنها شعرت بالسعادة لأن أغنيتها أعجبت الجمهور.

قال "جوزيه" وهو يلف حولها بينما كانت تمسح وجهها في رقة من العرق:

-رائع:

رمقته بنظرة مفكرة. لابد أنه مخطئ .حدثتها نفسها بأن لجنة التحكيم لن يكون لها نفس رد فعل الجمهور. إن اللجنة لا تحكم فقط على اللحن والكلمات بل وعلى الأصوات أيضا، ونجاحها لن ينسيها أن صوتها ليس قويا.

تركها "جوزيه" ليذهب ويعرف الأخبار. إن لجنة التحكيم تستغرق وقتا طويلا حتى تظهر النتيجة. كان هناك عرض فكاهي على المسرح، بينما كان المتسابقون في توتر شديد.

أخيرا وبعد نصف ساعة من التأخير جاء رئيس اللجنة- وهو مدير مسرح كبير ومشهور- ليذيع النتيجة:

-حصل على جائزة مهرجان "لا كوروني" (لويس سوليانو).

تقدم الفائز ليتسلم جائزته وسط تصفيق الجمهور، وكاد "جوزيه" أن ينهار. لقد كان يتوقع بشدة أن تحدث المعجزة. وعندما هدأ التصفيق استطرد رئيس اللجنة وسط دهشة الجميع. لقد كان من المفترض أن يقدم الفائز أغنيته.

• لقد منحت لجنة التحكيم جائزة خاصة لم يكن من المتوقع أن تمنح، وهذا هو السبب في تأخير إعلان النتيجة.. إنها لـ"سوانا" و"جوزيه" لجمال الكلمات واللحن اللذين قدماهما لنا.

صعد الاثنان مرة أخرى إلى المسرح. كان المؤلف الموسيقي الشاب في قمة سعادته أخذ يحيي الجميع في كل الأنحاء دون أن يستطيع أن يتوقف. لقد اشتهر وسيستطيع أن يعمل مع المغنين المحترفين! لقد

www.rewayti.net

كانت "سوانا" دهشة لما يحدث. ابتسمت من فرط تأثرها بفرحة "جوزيه" أكثر من نجاحها.

-سيقدم لنا الآن "لويس سولباتو" أغنيته.

جذب "جوزيه" "سوانا" إلى الكواليس في خطوات الفالس الراقصة وسط ضحكات الجمهور:

-لقد فزنا.. فزنا.

ضحكت "سوانا":

-جائزة لمواساتنا. لكني لم أكن أتمنى أكثر من ذلك. لقد انتهى الأمر.

-لكن لا، إن كل شيء يبدأ الآن.

-أقصد انتهت المسابقة.

-آه... حسنا إني أسأل نفسي من الذي سيطلب أن يشتري مني هذه الأغنية، ما رأيك في أن...

تاركة صديقها في أحلامه انسحبت "سوانا" إلى الحجرة التي تقاسمتها البارحة مع متسابقتين أخريين. إنها تشعر بالاختناق تحت طبقات البودرة التي نثرتها على وجهها لتحتمل أضواء المسرح.

ألقت نظرة إلى نفسها في المرآة: فستان السهرة الطويل هذه الخصلات التي تنسدل على رقبتها. شعرت بأنها غريبة عن نفسها فقررت بألا تستكمل السهرة بهذا المظهر.

أزالت الماكياج ،وحررت شعرها من هذه التسريحة، وصففته بعناية، وأخرجت من حقيبتها فستانًا كانت قد أحضرته للطوارئ.

قالت لنفسها عندما أصبحت جاهزة: "هذه حقا ابنة سفير معتدلة في مظهرها تماما. إني أسأل نفسي كيف كان والدي سيرى مظهري في تلك الأيام الأخيرة؟ أين أنت يا أبي؟".

كانت لا تزال مقطبة حاجبيها عندما أغلقت باب الحجرة خلفها.

الفصل الثالث

-مساء الخير يا عروس البحر.. حسنا.

رمقت "سوانا" الرجل الذي يحدثها بنظرة غير مرحبة. لقد كانت تفكر في والدها، وبشكل تلقائي اتخذ وجهها تعبير التعالي تجاه رجل متطفل.

-سيدي؟

وبمجرد أن نطقت بهذا السؤال حتى تعرفت على محدثها. وتحول وجهها على الفور وأصبح مشرقا بفرحة حقيقيه.

-لقد بدأت أعتقد أن النجاح قد أنساك أصدقاءك القدامى.

بالتأكيد.. لقد كنت شاردة الذهن.

-الآن أستطيع أن أقدم نفسي "جوان أورتيز"

-المؤلف الموسيقي؟

ابتسم الرجل:

هو نفسه. كنت أود أن أكون مؤلف أغنيتك، ولكن موسيقى "جوزيه فيلار" جيدة حقا. هل لديك نصوص أخرى؟

-هناك دائما نصوص أخرى، ولكني لست متأكدة من أنها تصلح للغناء.

• لقد فقدت "سوانا" وعيها بالعالم الحقيقي. إن في عالمها الخاص بها الحقيقة الوحيدة، وهي دقات قلبها، والكلمات التي تنبع من أحاسيسها، وتتناثر على الورق دون أن تعبأ بقواعد الشعر. حتى الآن لم تنجح في إيجاد خط استرشادي لأفكارها. لقد ولدت في حياة جديدة. كان ذلك حتى قبل أن تتوج أغنيتها بالنجاح.

قال "جوان" معاتبا:

www.rewayti.net

– "سوانا"، أنت لا تسمعينني.

ابتسمت له ابتسامة ساحرة. هذه أيضا واحدة من الصفات التي ورثتها عن والدها: الابتسام الدائم. لم تكن عيناها الخضراوان تريان ديكور الردهة المزدحمة التي يسيران فيها. لقد تملكتها رغبة مجنونة في العودة إلى شقتها في "مدريد"، وفحص الحقيبة الصغيرة التي تحتوي على آلاف الكلمات ومئات الأفكار التي وضعت في غير ترتيب.

ضحك "جوان" قائلا:

– "ميجول" يريد أن يراك على طاولته هذا المساء. بدون شك سيستطيع أن يحوز على اهتمامك أكثر مني.

توقفت الفتاة الشابة فجأة، وكان حاجزا قد أعاق طريقها، والتفتت إلى محدثها وقالت:

يجب ألا أذهب إلى هناك.

إنها تعرف طريقها بشكل مؤكد، وهو لا يمر من خلال طاولة "ميجول". يجب أن تذهب إلى قدرها الذي بدأ يرسم أمامها بالكاد. قدر لا يجب أن تعارضه.

سألها "جوان" دهشا من إجابتها:

–إلى أين أنت ذاهبة بهذه الطريقة المتعجلة؟

أجابته في جدية:

–إلى "مدريد".

–بالسيارة؟

–سيرا على الأقدام .. على ظهر حصان أو حتى على زلاجات...

قاطعها ممسكا بذراعها:

–ليس هذا المساء. هذا المساء عيد. ستبقين معنا. اعتبري ذلك ظرفا قهريا مثل عاصفة الليلة الماضية. ألا تريدين بيع أغنيتك؟

–بلى بالتأكيد. هل وجودي ضروري؟ هناك "جوزيه".

–أنت يا "سوانا".

دفع "جوان" بابا فوجدا نفسيهما في جو من المرح. كان هناك عزف صاخب، ضحكات، أصوات سدادات زجاجات الشراب.

كل شيء مبهر للعيون: الأضواء، والألوان، وبريق المجوهرات.

همست محاولة أن ترجع:

–أوه .. كلا!

–أهذا المناخ يختلف عما اعتدت عليه يا عروس البحر؟ لا يهمك.. لن أترك يدك. أعدك بذلك.

قالت تطمئنه:

–لست خائفة، لكني لا أحب هذا المناخ.. هذا كل شيء.

–في هذه الحال أنت أشجع مني. أشعر بخوف شديد في كل مرة أواجه فيها الجمهور. أشعر بأننا لن نخرج من هذه المواجهة قطعة واحدة.

–نحن؟

– "ميجول" و"كارلوس" وأنا. بعد العرض يحدث هجوم الجمهور. أحيانا يصل الأمر إلى أن يفقد قميصه، فيجب علينا أن نحميه من نجاحه. انظري حتى في هذا المساء.

–هل تريد أن تضيفني إلى المجموعة؟

قال "جوان":

–لم أفكر في ذلك. أنت لست من فريق الجمهور.

–لكني على الرغم من ذلك إحدى معجباته. إنه بعيد جدًا مثل النجوم التي تلمع في السماء.

زفرت في أسف:

–أريد أن أذهب لأرى النجوم.

–لا. لمرة واحدة أحضر له شخصا ما يستطيع أن يقدم له شيئا بدلا من أن يطلب منه ابتسامة أو أوتوجراف أو قبلة أو لا يعلم إلا الله ماذا

www.rewayti.net

أيضا...

-لا تقل لي إن كل تلك المعجبات لا يمنحنه شيئا.

-لا، إنه هو من يعطيهن جزءا من حياته أو جسده. أرجو المعذرة، ربما أكون قد تماديت.

-هذا أمر معروف للجميع ولا يمكن تجاهله.

استطرد "جوان" :

-إنه لا يشعر أبدا بأنه يأخذ شيئا. إنه وحيد في مواجهة العالم. التصفيق على المسرح يرضيه في وقته فقط. إن العرض الفني مثل الإدمان، من أجل بضع دقائق من التصفيق يلزم العمل عدة أشهر. وهذا يقود بشكل قهري إلى الضغط العصبي والاشمئزاز حتى مما يفعل.

سألت "سوانا" وهي تنظر إلى "ميجول" الذي يوزع الابتسامات والنظرات وحتى القبلات على السيدات اللاتي يلتففن حوله:

-ألا تعرف علاجا لهذا المرض؟

-زوجة وبيت ..حتى لو لم تكن فكرة جديدة. زوجة مستعدة أن تقدم له كل ما يحتاج إليه، وكل ما يعطيه للآخرين.

-أليس بذلك يحتاج إلى أم؟

-جدة وأم وزوجة وطفلة: يجب أن تكون كل النساء مجتمعات في واحدة لكي تستطيع أن ترضي هذا الحب الذي يحمله في قلبه للمرأة.

-أن تكون كلية الوجود؟

-نعم ..وفقا لرغباته. يجب أن تكون يقظة دائما لتستشف رغباته دون أن يضطر إلى التعبير عنها.

-لتنس ذلك يا "جوان" هذا ليس إلا حلم رجل متعصب لرجولته.

قال مدافعا:

-إنه أيضا حلم لحب كامل.

فكرت: "في الحب يجب أن يكون هناك اثنان".

تخلص "ميجول" من معجباته في هدوء .ابتسم لهن ابتسامته الساحرة، ولمعت عيناه الداكنتان وغاصتا في عيني الفتاة الشابة كأنه لا يرى سواها في العالم .لاحظت إذن أن عينيه لم تكونا سوداوين بل خضراوين مثل عينيها، لون أخضر عميق داكن مثل الغابات المتوحشة في العالم الجديد.

ابتسمت "سوانا" بلتقائية و انتابتها رجفة غريبة بطول ظهرها. لقد كان أكثر جاذبية عن قرب.

قال:

أهنئك. أرأيت الآن أن الأمر ليس بهذه الصعوبة؟

-لكني مقتنعة بأنني أفضل كمؤلفة أغان عن كوني مغنية.

-هذا ما حرصت لجنة التحكيم على إبرازه. هل تبيعين لي هذه الأغنية؟

-إنها لك.

-سيتولى "كارلوس" الخطوات العملية.

-"ميجول" !

-سيد "فارجاس" !

ثم جاءت بضع معجبات لتقطع الحديث، بالإضافة إلى بعض المصورين. رجعت "سوانا" إلى الخلف خطوة.

سألها "جوان" :

-أنت بالقرب من نجم. ما رأيك؟

-إنه نجم عابر، ولا يبقى منه سوى الشعور بالأسف على رحيله.

-تفضلي بالجلوس هنا. سنكون قريبين بالقدر الكافي دون أن يأخذنا الإعصار.

-أهلا يا سنيوريتا. سعيد برؤيتك مرة أخرى.

التفتت "سوانا" نحو الرجل الجالس عن يمينها. نهض وانحنى. إنه رجل طويل نحيف، شعره أسود كثيف رمادي عند صدغيه مما يخفف من حدة ملامحه.

-"سوانا".. اقدم لك "كارلوس كيلان". إنه مدير كل أعمالنا، وبدونه سيكون وجودنا مجرد صدى.

على الفور استنتجت الفتاة الشابة صدق كلامه لأنه بسرعة كان بين أصابعها كأس من شراب، وأمامها طبق زاخر بألذ الطعام. لقد وجدت في صحبة "كارلوس" "وجوان" لطفا واهتماما. وبدأت تشعر بالامتنان لهذه السهرة التي أرادت أن تهرب منها.

-أنتما صديقان حقيقيان! أعرف أنكما تمنعانها من الهرب.

فزعت "سوانا" عندما سمعت هذا الصوت الحاد واللطيف في نفس الوقت. ترك "جوان" مكانه لـ"ميجول" بينما توقف "كارلوس" عن الحديث. فجأة وضع المغني يده على كتفها.

كانت تنظر إليه وتسمعه، ولا تشعر بأي إحراج وهو يداعب خصلة من شعرها الطويل. شيئا فشيئا شعرت بأصابعه تلمس خدها.

غاصت بعينيها الخضراوين العميقتين في عينيه، وأجابت ابتسامته الساحرة بدون تحفظ، ولكنها لم تنصت لأي كلمة مما قال.

لقد كانت مبهورة بهذا الاهتمام اللطيف الذي غلفها به، وانتهت بأن قاطعته:

-متى ستتوقف عن هذا التقديم؟

تبسم "ميجول". بدا "جوان" و"كارلوس" كأن تنفسهما قد توقف. تفحصها المغني في تشكك. هل أرادت حقا أن تجرحه؟ كان وجهها الرقيق جادًا، ولا يوجد أي علامة هجوم في عينيها، ولا على شفتيها الرقيقتين.

سألها ميجول بصوت أجش:

-ألا تحبينني؟

بدا على وجهه حزن يساوي حزن العالم، وشعرت "سوانا" بوخزة مؤلمة في قلبها. إنها لم ترد أن تؤلمه، وعلى الرغم من ذلك ولمدة ثانية واحدة تملك الحزن هذا الوجه الجميل. لقد رأت التمثال الجميل يسقط وينكسر. هذه الصورة تلاحقها منذ اليوم الذي حضرت فيه هزة أرضية على جزيرة في بحر "إيجا".

تمتمت بغير وعي. وهي ترفع يدها لتضعها على يد "ميجول":

-التماثيل هي فقط التي تنكسر.

كان لابد من طمأنته.

قال دهشا وقد عادت إليه ابتسامته:

-ماذا تقولين؟

ابتسمت بدورها:

-أحبك. ولكن حيويتك تفوقني قليلا. أخشى لأن طبيعتي هادئة إلى حد كبير.

رفع يده وربت خدها، في عينيه المحفوفتين بأهداب سوداء كثيفة يلمع ضوء يشيع على وجهه جاذبية نادرة. بصوت دافئ وهامس حتى لا يسمعه غيرها قال:

-فقط ناعسة قليلا. لقد ساعدتك من قبل. دعيني أساعدك مرة أخرى.

قفز قلب "سوانا" بين ضلوعها في دقات منذرة من هذا الشعور الخطير الذي تسلل إليها. نظرته اللامعة العذبة وإشراقة ابتسامته الآسرة كل ذلك يخيفها. همست عندما تبينت أن وجهه قريب جدا منها:

-لا تفعل!

-لماذا؟ أنت جميلة جدا وغريبة يا عروس البحر.

ضحكت:

-أعصابي خفيفة، وأنت خطير.. يجب سجنك.

-لا.

فزعت "سوانا". كان صوته أجش امتزج فيه الخوف والغضب. وفي نفس اللحظة، شعرت بيدي "ميجول" تترك يديها ،وسمعت صوت المقعد يشير إلى أنه قد قام.

-لا يوجد أسوأ من أن يحرم الإنسان من حريته بسبب حادث أو بسبب العدالة.

اقترب منها "جوان"، ومد إليها كأسا من الشراب. بدا متحيراً قليلا، ونظر إليها كأنه يراها لأول مرة.

-"سوانا"... لا أعرف كيف أقول لك... لا تفهمي ذلك خطأ. أريد..

قالت في دهشة:

-كان كارثة قد وقعت؟

قال "كارلوس":

-ذهب "ميجول" ليجلس إلى طاولة أخرى. له طريقته في الابتعاد عما يجده نذير شؤم.

-شؤم؟

-في أقل من دقيقتين جعلته يقترب مرتين من حافة الهاوية.

-أي هاوية؟

-هاوية أحزانه العميقة التي يخفيها عن العالم: ألا يحبه أحد أن يحرم من الحرية. بدون شك إنه يراك خطيرة بدوره.

-إنه مخطئ. إن العالم كله يحبه.

قال "كارلوس" في هدوء:

-ليس كل العالم. كان سيشعر بذلك إذا كان ضمن جمهوره رجال بنفس عدد النساء.

-من ناحية أخرى لقد حرم من حريته. في زمن آخر ومكان آخر... مات والداه.

قالت "سوانا" محاولة أن تمزح:

-أشعر كأنني طفلة اقترفت حماقة.

صعدت الدموع إلى عينيها. في طفولتها كثيراً ما تمنت أن ينهرها أحد. ولكن أحاطها الجميع بالحب لأن أمها كانت قد ماتت بعد ميلادها بقليل، وكان والدها غائبا أغلب الوقت. كان عليها أن ترضى بالعلاقات الدافئة التي تقدمها لها الحياة. اللامبالاة.. نعم.

صدمت عندما تبينت ذلك. اعتادت على ألا يلاحظ وجودها الناس، ربما بسبب طبيعتها الكتوم ،وكانت قد اعتادت ألا تفعل ما يضايق الآخرين.

قيل لها ذات يوم:

-والدك يشعر بالألم لأنه يتركك. كوني فتاة طيبة و لا تبكي. اجعلي سفره سهلا.

ابتسمت طائعة لتخفي ألمها الذي يعتصر قلبها بينما تأخذ الطائرة والدها بعيدا في السماء.

أوصاها قبل أن يرحل:

-كوني لطيفة مع "كارلا" و"دييجو". لقد تركت لهما مسؤولية كبيرة.

لم تكن "سوانا" تفهم لماذا يتركها في هذه الظروف. ولكنها عودت نفسها أن تكون كتوما بقدر ما تستطيع في المكان الذي نزلت فيه بعد أن انتهت من دراستها في المدرسة الداخلية.

في هذا المساء، صعدت إلى المسرح وواجهت الجمهور إنها في هذا المساء ودون أن تريد ، من خلال كلماتها التي اعتقدت أنها غير مسموعة هزت تمثالا من فوق قاعدته، وتمزقت بشكل طفيف شرنقة

اللامبالاة التي كانت تحيط بها.

وضعت كأس الشراب الذي لم تتناول منه شيئا والتفتت نحو "جوان". سألته في تردد:

-هل يجب حقا ان أبقى؟ هناك كثير من الضوء والصوت والحركة...

وضعت يدها علي خدها الايمن ،وتحت أصابعها شعرت بنبضها السريع.

-سارافقك.

سحب "كارلوس" مقعدها في لطف ليساعدها على النهوض. ثم سأل دون أن يحدد فكرته:

- "جوان"؟

-سابقى قليلا. لا أعرف ماذا سيقرر "ميجول".

التفت ثلاثتهم مرة واحدة نحو الطاولة المجاورة. كان رأس المغني المشهور مائلا نحو سيدة رائعة الجمال ترتدي فستاناً ملتصقا بجسدها. كانت تنظر إلى النجم بوجه مشرق بالسعادة، وهو يبتسم ابتسامته الساحرة.

أضاف "جوان" :

-لم يعد هناك وقت طويل.. طاب مساؤك يا عروس البحر.

ترددت إجابة "سوانا" على شفتيها، ولكنها لم تنطق بكلمة. هناك أفكار ومشاعر مضطربة تتصادم في رأسها. أحاط "كارلوس" كتفيها بذراعه وقادها إلى الخارج.

بمجرد أن خرجا قال:

-إن هواء المحيط بارد.

قالت "سوانا" :

-هل....

ثم صمتت فجأة متوردة إن عالم المغني المشهور مجهول بالنسبة لها، عالم من الرجال والنساء الذين يختلفون عن عالم أحلامها. عالم واقعي جدا لا تستطيع أن تستوعبه فتاة مثلها. لماذا تتألم؟ تعرف أن من الممكن أن تكون مقالات الجرائد صحيحة ،على الاقل جزئيا .اكتفى رفيقها بأن أجابها لدحض فكرتها:

-هناك رجال يتمسكون بالعفة وآخرون لا. ربما يكون الحب حاجة أساسية مثل الماء والخبز.

اقفل باب السيارة. وشعرت "سوانا" بالارتياح؛ لانها غير مضطرة للإجابة. استندت إلى ظهر المقعد وأغلقت عينيها لتنعم بفخامة السيارة "الليموزين"، وانتابتها ضحكة مجنونة عندما تذكرت السيارة القديمة التي جاءت بها إلى "لا كوروني".

استغرق "كارلوس" وقتا ليلحق بها في السيارة. فتحت عينيها لتبحث عن السائق فوجدته انه يقف وإحدى يديه على مقبض الباب والأخرى على سقف السيارة.. يبدو أنه لا ينوي الركوب الآن. كان وجهه متجها إلى المبنى الذي غادرته توا.

أمام باب الخروج قوي الإضاءة كان يقف ثلاثة أشخاص: "ميجول" ورفيقته الحسناء و"جوان" الذي وقف ينصت باهتمام إلى صديقه، وبعد أن هز رأسه بالإيجاب تركها ليتجه نحو سيارة "كارلوس".

وابتعد "ميجول" ومعه السيدة في اتجاه آخر. بعد بضع خطوات توقف المغني. شعرت "سوانا" بأن عينيه تفتشان داخل السيارة التي جلست فيها. تقدم نحوهما ثم توقف مرة أخرى.

وعاد وأمسك ذراع السيدة التي تعلقت به ليستأنفا طريقهما.

قال "جوان" وهو يجلس في المقعد الخلفي:

-لقد سامحك يا عروس البحر.

-سامحني؟

عندما فهمت انفجرت ضاحكة.

– "جوان"، أنت تميل إلى الميلودراما بشدة .بسبب واقعتين بدون سوء نية.. أو قصد في الإساءة، تعاملني كأني جانية. مبالغتك تثير دهشتي .شكرا كثيراً على العفو يا سادتي.

الغضب الذي تملكها قد دمر المشاعر التي شعرت بها منذ قليل. قالت لنفسها: "إني ثائرة" ولكن لم تقدها ثورتها أبدا إلى السخرية من كل شيء ومن الجميع وحتى نفسها.

–أنت لا تعرفين رقة مشاعر...

قاطعه "كارلوس" :

– "سوانا" محقة. نحن نعيش بمشاعر حقيقية وأخرى مجازية، وأحيانا نترك العنان لهذه العواطف. قليل من التعقل والتحفظ لن يضر أحدا.

همس "جوان" :

– "سوانا" متحفظة جدا ومؤدبة جدا. أليس صحيحا يا "سوانا"؟

أجابت الفتاة الشابة:

–خطأ.. لست مؤدبة ولا غير مؤدبة. لقد نسيت كل ما قيل لي في هذا الشأن. ما فائدة الكلام في ذلك؟

–سنناقش العقد الذي سنبرمه بخصوص أغنيتك. سنسافر غدا إلى "المكسيك".. هل يضايقك أن تسهري هذه الليلة قليلا؟

أراد "كارلوس" أن يحوّل الحديث إلى موضوع أكثر اعتدالا:

على الإطلاق. لا أشعر بالنعاس. الأربع والعشرون ساعة التي في اليوم تبدو لي قصيرة جدا في هذه الحالة من الإثارة التي أعيشها. عندما سأترككما سأحزم حقائبي و أوقظ الفندق كله ليحجزوا لي مكانا في أول طائرة متوجهة إلى "مدريد".

–يجب أن تتركي لنا عنوانك. من الممكن أن نحتاج إلى الاتصال

بك للحصول على موافقتك الكتابية إذا أردنا التغيير في النص.

–التغيير، لماذا؟

أوضح "جوان" :

–سنترجم النص إلى لغات عديدة، وقد نضطر إلى إجراء تعديلات طفيفة وفقا لاختلاف القافية من لغة إلى أخرى.

–نعم، فهمت. لي عنوان دائم في "مدريد" ولي مراسلون يوصلون لي البريد أينما كنت– لديهم عنواني الحقيقي.

–ألا تسكنين "مدريد"؟

–لي بها شقة صغيرة... أقصد والدي. نذهب إلى هناك نادراً. إنه يسافر وأنا أسافر، ليس دائما إلى نفس البلد.

قال "كارلوس" :

–أنت مثلنا إذن يا "سوانا".

قال "جوان" :

–على الرغم من أنك توحين بأنك مستقرة.

–أنا هادئة ومستقرة لكن ليس على الخريطة الجغرافية. الأرض مستديرة.. أليس كذلك؟

–لكن، ألديك أسرة؟

–نعم.. في أركان الدنيا الأربعة.

–هم أيضا؟

قالت "سوانا" ساخرة:

–أغلبهم لا يتحركون. أنا و والدي فقط رحالة.

–رحالة؟ هل أنتما من الغجر؟

–شبه ذلك..نحن من البدو المتحضرين .تعرف هؤلاء الأشخاص الذين ينتقلون من سفارة إلى قنصلية تحت اسم بعثات دبلوماسية. أبي ينتمي إلى هؤلاء .إذا قلت له: "لقد اندلعت الحرب بين هذا

وذاك " يجيب مبتسما: "كم هذا مثير للضجر يا عزيزتي! يجب أن نلغي مباراة الجولف اليوم".

عارضها "جوان" :

-يجب ألا يكون الإنسان بهذه اللامبالاة.

-إنه ليس كذلك، ولكنه سيذهب ليحزم حقائبه ويستعد للتدخل إذا كانت هذه هي رغبة حكومته.

-ماذا تفعلين في كل ذلك؟

قالت "سوانا" وقد اختفت ابتسامتها:

-أتنزه آملة أن أقابل والدي يوما ما.. في مطار ما، وأجد الوقت لأتبادل معه كلمتين.

مرة أخرى حاول "كارلوس" أن يغير موضوع الحديث عندما شعر بأن الفتاة الشابة لا تريد أن تكشف عن حياتها.

بعد بضع ساعات كانت "سوانا" ممددة على سريرها بملابسها. لقد وجدت مكانا على أول طائرة متجهة إلى "مدريد" وذلك بعد ظهر اليوم التالي. لقد انتهت إثارتها لم يبق لها سوى شعور غريب بعدم الارتياح والفراغ الداخلي.

لقد كانت طوال اليوم على حافة هاوية من اليأس والخوف.

كانت الحقيقة قد اختفت خلف الحركة البديعة وصوت العرض ونشوة النجاح المادي.

في الحقيقة، لقد عثرت على أحد مفاتيح فكرها، ولكن ما الذي أدركته ولا تعرفه بالفعل؟ إن العالم فسيح ومازالت فيه وحيدة. إنها تنتظر في يأس ذلك الشخص الذي سيعطيها أخيرا هذا الشعور بالانتماء الذي ينقصها.

بكى قلبها الخاوي من الحب والحنان المتبادل "أين أنت؟"

نامت نوما قلقا تتخلله الكوابيس.

في أعلى أبراج أحد قصور العصور الوسطى الذي تحيط به الغيوم في بلد ليس له اسم انتهت سيدة عجوز من كتابة ألف قصيدة حب. عيناها اللتان يظللهما الغيام، ويداها الشاحبتان لم تعد أبدا إلى عالم الأحياء.

دفعت "سوانا" بكل قوتها هذا الوجه الذي ينظر إليها. على الرغم من أنه وجه عجوز فقد كان وجهها.

"لا!"

تحركت لتهرب من الحلم ، ولكن سرعان ما عاد إليها نفس الحلم. قال لها وجهها الممسوخ بصوت واهن وهادئ:

-عشرون عاما.. كان عمري عشرين عاما. لم يكن الحب سوى سراب؛ لذلك حبسته الآلهة في جسد رجل واحد لم يتأخر امتثاله وجعلت منه معبودا.

انتصبت "سوانا" على سريرها. كان الليل لا يزال يخيم على المكان. شعرت بجفاف حلقها فبحثت عن كوب الماء على الطاولة المجاورة للسرير، ثم رقدت من جديد طاردة من ذهنها صورة "ميجول فارجاس" وفي ذراعيه سيدة فاتنة.

وبمجرد أن أغلقت عينيها وعادت إلى النوم عادت السيدة العجوز ذات الوجه الشاحب الذي يشبه وجهها لتعذبها.

-كان على الحب أن يتجدد... وبمرور الوقت أسرف في إغواء كل نساء العالم..دون جدوى. تحطم تمثال الحب، ومات الحب بداخله وأشرف الرجل المسكين على الهلاك.

على الرغم من كل ما يحيط به من أضواء فهو يشعر بأنه وحيد.. وحيد جدا.

-كفى!

صاحت "سوانا" في حلمها. القلق يخنقها. لقد أغرقتها السيدة العجوز بحديثها في أكثر ما تكره: في حشد ضخم متحرك. طوفان

بشري من النساء يمنعها من أن تتقدم، أن تصل إلى من تبحث عنه.

بدا لها ممسكا بيد شخص آخر يقوده. فجأة رآته على بعد أقل من مترين. كان له نفس الوجه اليائس والحزين كما كان منذ قليل في الحفل.

صاحت:

- "ميجول"، لقد وجدته!

ولكن السيدات اللاتي يحطنه يعقن مرورها. إنها لا تستطيع أن تصل إليه. سمعت فجأة صرخة خوف. شخص ما يقول بصوت كأنه قادم من كهف:

-لقد تحطم التمثال.

استيقظت "سوانا" من جديد باكية في هذه المرة. استغرقت خمس دقائق لتعود من هذا الألم الخيالي قبل أن تعود للنوم منهكة كالطفل الذي أنهكه البكاء.

عاتبتها السيدة العجوز:

-هل ستستمعينني؟ سيقابل هذا المحبوب- أخيرا- تلك التي ليست سوى روحه المحبوسة في جسد امرأة، وستحبه هذه الروح، وسيمتلك الحب هذا الجسد، ويموت هذا الكائن الخيالي بعد أول عناق بينهما، وهو الأخير أيضا، وسيعيش الحب من جديد. سيحترق ويضيء ويتحول بدون توقف إلى أشعار، وفي كل العالم ستعود هذه الأشعار بالمجد على الحب الذي لن يفقد أبدا.

تأوهت "سوانا" في نومها:

-لماذا؟ لا أريده أن يتكسر.

-سأموت الآن. وعندما تذهب الحياة عن جسدي ستهرب الروح الحبيسة أخيرا. سأجد حبيبي الذي اختفى منذ زمن طويل. سيكون عمري عشرين عاما إلى الأبد.

الفصل الرابع

عندما تذكرت هذا الكابوس شعرت "سوانا" بعدم الارتياح. قامت من على مقعدها وحكت ذراعيها. كانت تشعر بالقشعريرة.

لم تعد ترى الماء الأزرق اللطيف لخليج "أكابولكو"، لقد نسيت حتى رفيقتها الشابة ودخلت إلى المنزل.

كان الضوء يدخل من خلال النوافذ الكبيرة التي تشغل الحائط بأكمله. في الحجرة الفسيحة الممتلئة بالخضرة نباتات كبيرة خضراء تشغل المساحات الفارغة. أثثت الحجرة بمقاعد وثيرة وكنب من الخيزران المصنوع بمهارة شديدة. كل شيء بها يدعو للراحة.

حائط زجاجي آخر مزين بلوحة حائطية من "المكسيك" تشغل جانبا بأكمله. وللإضاءة استخدمت مصابيح كبيرة على شكل شعلة.

تنفست "سوانا" في ارتياح. إنها تشعر بالسكينة في هذا الديكور الذي نفذته بحب ليجمع بين ذوقها وذوق "ميجول". هنا لا يمكن لشيء أن يصل إليها وخاصة ذلك الكابوس الذي يعود إلى عشر سنوات، والذي تكفلت الحياة بإبعاده.

قالت "نيللي" التي ظهرت بالقرب منها:

-ياله من حلم فظيع!

-يخشى الإنسان السعادة لأنه دائما يدفع ثمنها"، كل شيء يدفع ثمنه في الحياة" لقد صدقت هذه المقولة. ولكن السعادة تمنح نفسها. وكلما تقاسمها الإنسان مع الآخر قويت هذه السعادة.

-لكن لماذا هذا الحلم؟

-بدون شك كنت أستشعر الأهمية التي سيأخذها "ميجول" في حياتي. لقد كان كل منا بعيدا عن الآخر. رفضت هذا الحدس،

www.rewayti.net

أردت أن أقضي عليه، أن أضع حاجزا إضافيا بيننا.

-متى رأيته بعد ذلك؟

-بعد ستة أشهر. عدت إلى "مدريد" كما هو مفروض وجمعت الكلمات في نصوص عديدة.

-هل وجدت من يغنيها؟

-لم أبحث. لقد كنت لا أزال أبحث عن روحي، ولم تكن تلك النصوص سوى توابع لأغنية المهرجان... كلها كانت لمغنٍّ واحد لكنني لم أكن مدركة لذلك.

صاحت "نيللي":

-أوه. أعرف.

ودندندت "نيللي":

أحبك بدون سبب
ونحن بمفردنا
لن نرى ولن نسمع الآخرين
بابتسامة ونظرة سنتعارف
بابتسامة ونظرة سنتفاهم
في كل مكان وعلى الرغم من الآخرين
بابتسامة ونظرة، بمفردنا سنتحاب

-إني أعشق هذه الأغنية.

كان يجب أن أعرف المزيد من الأشياء قبل أن أؤلف الباقي:

أحبك بسبب واضح
لسنا بمفردنا أبدا
نحن نعيش بين الآخرين
من خلالهم ومن أجلهم
بابتسامة ونظرة سنتعارف

بابتسامة ونظرة سنتفاهم
في كل مكان وبين الآخرين
لسنا بمفردنا أبدا
بابتسامة ونظرة سنتوحد

قالت "نيللي":

-متى؟ كيف؟

ابتسمت "سوانا" ووضعت في عناية صينية عليها عصير فاكهة على الطاولة. لن تتركها "نيللي" قبل أن تعرف التفاصيل. كانت تتبعها في كل خطوة.

استطردت "سوانا" وهي تجلس على الكنبة:

-يبدو أن والدي قد تذكرني، طلب مني أن أذهب لأقابله في "المكسيك" سأذهب إذن لأركب الطائرة...

الفصل الخامس

توقف التاكسي أمام أبواب المطار. دفعت "سوانا" للسائق أجره. بينما كانت ترتب حافظتها أخرج حقائبها من خزانة السيارة وذهب ليفتح لها الباب.

كان الجو حارا جدا، ولفح وجهها هواء ساخن. في هذا المكان الجو خانق أكثر من أي مكان آخر. ربما بسبب الفناء الكبير الممتد أمام المباني. أغلقت أبواب المطار خلفها بطريقة آليه فالتقطت أنفاسها. إن التكييف اختراع طيب.

منذ عدة أشهر وهي تعيش وحدها مغلقة شقتها عليها في "مدريد". الخادمة تقوم بالتسوق. لقد نسيت الهواء والشمس وأصوات البشر.

إنها تشعر بالضيق الآن من حركة وصخب أمثالها من البشر.
قالت لنفسها غاضبة؛ لأنها نسيت العالم كل هذا الوقت: "حمقاء"
-عروس البحر!
ابتسمت لفكرة الجمع بين هاتين الكلمتين "حمقاء -عروس البحر"، دون أن تنتبه إلى أن هناك من يحدثها. لقد نسيت أن إخوانها من البشر قد يوجهون لها الكلام. تقدمت نحو شباك التسجيل في المطار وهي تدفع عربة نقل الحقائب، وهي شبه دهشة من أنها مخلوقة من لحم ودم.
-عروس البحر.. ألا تسمعين أم أنك نسيتنا.
وضعت يد على ذراعها لتعوق تقدمها. بدون شك هناك من يخاطبها. بدت السعادة على وجهها حتى قبل أن تكتشف محدثها.
ضحك "كارلوس":
-ضعوا أحزمتكم ستهبط الطائرة. فوق أي سحابة.. فوق أي سجادة طائرة تتنقلين؟
هل أنت مضطرة مثلنا إلى أن تأخذي طائرة حقيقية؟
عاتبته "سوانا":
-أنت تسخر. يالله من عالم! ويالله من صخب!
-لقد سبق أن رأيت هذا التعبير من قبل. الخيال والواقع لا يحب المزج بينهما. قد تتعرضين لحادث مالم يصاحبك مرشد للعميان. لكني الاحظ أنك مازلت بمفردك.. من أين أنت قادمة؟ وإلى أين تذهبين؟
-إني لم أترك "مدريد" منذ ستة أشهر. لقد سافرت وأنا في مكاني، سافرت بعقلي، سأذهب للقاء والدي في "المكسيك".
-لابد أنك سعيدة.
-ربما... لابد أنه يحتاج إلى مضيفة في إحدى حفلات الاستقبال، وليس لديه صديقة حسنة المظهر بالقدر الكافي لتقوم

بهذا الدور.
بدت الدهشة على وجه "كارلوس". تذكر كيف تحدثت في مرارة منذ ستة أشهر عن غياب والدها، وانعكست هذه الدهشة لدى "سوانا". لم تلاحظ "سوانا" أثناء حديثها باللهجة السيئة التي تتحدث بها عن والدها "الطائر".
-هذا أمر غريب... لقد كدت أن أفقده دون أن أعي.
سأل "كارلوس":
-هل فقدت شيئا؟
-أبي.
-عفوا؟
ضحكت "سوانا":
-أوه.. لا تهتم بذلك. إني أفكر بصوت عال. لقد أصبحت شكاءة كالمرأة العجوز.
أجابها:
-هذا يرجع لقلة احتكاكك بالآخرين. أعطيني تذكرتك، وبعد ذلك سنذهب لنرى رفاقنا في هذه الرحلة. لقد انتهيت توا من إنهاء الإجراءات عندما دخلت. إنهم في مخبأ في صالون صغير خاص.
-"جوان" و"ميجول" هنا؟
-نحن قادمون من "باريس" ومتجهون إلى "الولايات المتحدة". ستكونين سعيدة إذا أخبرتك بأن أغنيتك ستقدم في الأسطوانة التي سيخرجها "ميجول" بعد شهرين.
-هذا صحيح؟ الأغنية
قال "كارلوس":
-"سوانا".. لقد نسيتنا. كما هو واضح مثل والدك. هذا ما نقوليه.. أليس كذلك؟

www.rewayti.net

-ليس صحيحا. المطار ليس هو المكان المناسب لمناقشة مثل هذه الأمور. أشعر بعطش شديد. الجو حار بالخارج!

-تفضلي يا آنسة "سوانا متديجو دو بلمير".

-أين بحق السماء عثرت على اسمي كاملا؟

-يا إلهي! كان يجب أن تعطيني اسمك حتى أحرر العقد.

-نعم، بالتأكيد

-لاشيء أكيد معك يا عروس البحر. هل أنت مخلوق حقيقي؟

-كنت أسأل نفسي هذا السؤال توًا، ولكن الجوع والعطش من الاحتياجات الإنسانية.

-حسن جداً. فهمت.

عند دخولهما الصالون الصغير حيث يختبئ "ميجول فارجاس" من معجبيه العديدين تقدم "جوان أورتيز" نحوهما معبراً عن سعادته لرؤية الفتاة الشابة مرة أخرى. بينما تسمر "ميجول" في مكانه عابسا يتفحصها من رأسها حتى قدميها.

انزعجت "سوانا" لحظات. هل هناك شيء ما غير مألوف في مظهرها؟

هل شعرها أشعث؟ انعكست صورتها في إحدى المرايات، إنها صورة فتاة جميلة أنيقة في "التايير" الأزرق البترولي، وعلى رأسها قبعة وفي يدها قفاز. حذاؤها المريح يتناسب لونه مع التايير ووجهها نظيف.. إذن لا يوجد ما يثير الدهشة في مظهرها.

وجهها نظيف ولكنه عابس، كأنها تذكرت فجأة فكرة سيئة.

إنها شخص غير مرغوب فيه في هذا الصالون الهادئ بعيداً عن صخب المطار. إن المغني الكبير لا يقدرها. كيف استطاعت أن تنسى ذلك؟ وكيف تركت نفسها لـ"كارلوس" ليقودها إلى هنا؟

قال "جوان" محاولا أن يخفف من توتر الموقف.

-عزيزتي، كنت قد فقدت الأمل في رؤية عينيك الخضراوين الحلوتين مرة أخرى.

نظرت إليه "سوانا" في تشكيك وقد تسمرت عند عتبة الباب.

قاومت "كارلوس" الذي حاول أن يجعلها تتقدم واستدارت.

-أهلا يا "جوان"... لقد نسيت... يجب أن...

ألا يشعرون إذن بالتيار الكهربي الذي يحيطهما؟ "سوانا" من ناحيتها لاحظت قوة هذا التيار. إنه مثل خيط يحيط بها، يمنعها من أن تتحرك ويربك أفكارها. هناك مخرج واحد، أن ترجع للخلف وتعبر الباب في الاتجاه المعاكس.

ثم توقف كل شيء فجأة. ابتسم "ميجول". في هذه اللحظة شعرت "سوانا" بنفس الشعور الذي انتابها في أول لقاء لهما. مبتلة تماما على عتبة عالم من الدفء والود. كانت مرة أخرى مسكينة ووحيدة ويدخلها أحد ما إلى دائرة العائلة.

نهض "ميجول". رفع عنها قبعتها وخلع القفاز الذي يخفي يدها، ثم قادها إلى المقاعد حيث كانا يجلسان قبل قدومها.

استسلمت "سوانا" تماما.

اهتم الرجال الثلاثة بها وكأنهم لم ينتظروا سواها.

ولكن "سوانا" شعرت كأنها وقعت بين خيوط العنكبوت. هذا العنكبوت ذو العينين السوداوين اللامعتين والابتسامة الفاتنة.

فتحت فاها لتعترض.

سألها "كارلوس":

-ماذا تريدين أن تشربي؟ عصير برتقال؟

سأل "جوان":

-إلى أين تذهبين؟

عاتبها "ميجول" بصوت عذب:

www.rewayti.net

-أين كنت؟

قال "كارلوس" :

-إني أعرف كل شيء ،سيكون هناك احتفال بمناسبة لقائنا.

"مدريد" وبلاد الحلم كنقطة انطلاق، و"المكسيك" كمقصد.

حاولت "سوانا" أن تتدخل، ولكن استطرد "كارلوس" كاشفا عما استنتجه عن حياة "سوانا" الغامضة، وصديقاه ينصتان في اهتمام. لم تستطع إلا أن تعترف بصدق كلامه. إنها تعيش خارج أرض الواقع تماما،وإنها غير مهتمة- ودون أن تعي لذلك- بمحور أفكارها وانشغالها حتى الآن، أبوها. وهذا تماما في اللحظة التي دعاها فيها لتكون إلى جانبه.

أنهى "كارلوس" حديثه قائلا:

-هذا الأمر غير مفهوم. ما لم تكن جميلتنا قد وقعت في الحب.

سأل "جوان" دون أي تحفظ:

-من هو؟

قال "ميجول" الذي كان يسمع صديقه ناظرا إلى الفتاة الشابة:

-أنت مخطئ، "سوانا" لا تحب سوى الحب. إنها لم تختر بعد.

قال "كارلوس" لـ"سوانا" وهو يمد إليها كأس العصير: يجب أن تخبرينا عندما تختارين.

قالت مغتاظة وهي تهب واقفة مستعدة للهروب:

-أنا؟... لكن كيف تريدني أن أعرفه.

رجع "كارلوس" للخلف ووضع الشراب جانبا، بينما جحظت عينا "جوان" في دهشة، وانفجر "ميجول" ضاحكا.

قالت "سوانا" مختنقة وهي تصعقه بنظراتها:

-أوه أنت! أنت لا تحتمل. لا أريد أن أراك بعد الآن...

قال "ميجول" وهو يجذبها إلى الخلف ويعيدها لتجلس إلى جانبه:

-اجلسي واهدئي .لا داعي لغضبك. ستجدين يوما ما الشخص الذي تبحثين عنه. ولكن لا تحبسي نفسك كل هذه الشهور.

قال "كارلوس" وهو يشعر بالأسف لأنه السبب في غضب "سوانا" :

-ما رأيكم في أن نشرب نخبا؟ نخب "سوانا" التي تصالح رأسها وقلبها وجسدها، ونخبنا أن تحقق نجاحا في الألبوم القادم الذي سنسجله في "الولايات المتحدة".

وانخرط سريعا في الحديث عن مزايا "أمريكا" وخاصة استديوهات التسجيل بالنسبة للمغنّين ذاكرًا أفضل الفنيين في هذا المجال.

قال "ميجول" :

-إنهم غرباء و لطيفون أيضا. لهم ذقون طويلة ويدخنون بلا انقطاع، وأحيانا يلبسون البوت التكساسي. أسطواناتنا...

صححت "سوانا" :

-تقصد أغنيتنا.

صمم "ميجول" :

-أسطواناتنا ستكون رائعة في الاستديو؛ حيث أسجلها على نحو أفضل، وأحب أن أعمل مع من هم الأفضل. يجب أن تكون أغنياتي الأفضل لأن جمهوري يتمسك بذلك.

-قد تخطئ أحيانا...

-لا يا "سوانا" ليس لي الحق، ولا يتركني أصدقائي لأفعل.رأيهم يكون في موضع الاعتبار.

تركته "سوانا" يتحدث عن أحد موضوعاته المفضلة: العمل المتقن بهدف نتيجة إيجابية .بدأت تتعلم خطوات هذه الآلية الرائعة التي تختفي خلف دقيقتين ونصف من الموسيقى. شيئا فشيئا وجدت نفسها تتعلق بهذا العمل ذي الخطوات المتعددة والمهارات الكثيرة.

استطرد "ميجول" :

www.rewayti.net

-لا يجب الاعتماد على الحظ.

قال "كارلوس" :

-ولكنك لا تقبل حولك سوى هؤلاء الذين يحملون عامل الحظ الجيد الذي يجعلهم يخرجون أفضل ما لديهم، وبالقرب منك يكسب الشخص خمسين في المائة من طاقته.

قالت "سوانا" بصوت مختنق معترضة:

-لست أنا.

قال "كارلوس" مقترحا:

-هل تقدمين لنا أعمالك الأخيرة التي أنجزتها في الشهور الأخيرة؟

لم تجب "سوانا" بنعم أو لا. حملق إليها "ميجول" باحثا بدون شك عن إجابة مرضية. إن العينين اللامعتين للعنكبوت يجذبان الفتاة الشابة. إنها تقاوم بوهن.

فكرت تاركة العينين الخضراوين يغوصان في عينيها: "يجب أن أتعلم السير على الحبل".

قال "ميجول" :

-أنا لا أخطئ أبدا، لديك عامل الحظ الجيد وستنجحين في حياتك.

سألته في شك:

-هل هذا أكيد؟

-هناك شيئان مهمان : النجاح في الحياة، والوصول إلى العالمية. الخلود المكتسب من القوة.

بدأت تشعر بأنها تنسلخ عن العالم الذي يحيط بها. إنها ترى "ميجول" جيدا، وهو قريب جدًا منها، ولكن اختفى لون حوائط الحجرة واضطرب نبضها. ارتعشت وهزت رأسها.

لماذا ترى دخانا ولهبا؟ لماذا تسمع أذناها صرخات؟ لماذا ارتسم على

وجه "ميجول" علامات الألم والخوف؟

-"سوانا" ..ماذا يحدث؟

رأت وجوه الرجال الثلاثة تميل نحوها في قلق. حاولت أن تبتسم دون جدوى، ثم عادت إلى وعيها، ولاحظت أن أصابعها متشبثة بكم سترة "ميجول" ويده كانت على يدها، يريت أصابعها ليزيل لمسها.

-ماذا هنالك يا "سوانا" هل تشعرين بألم؟

قالت:

-لا يجب ركوب الطائرة.

-أي طائرة؟

-طائرتكم بدون شك... لا أعرف. لم أعد أعرف ماذا أقول.. بالتأكيد إنه الشراب، أليس كذلك؟

وضعت يديها على خديها الملتهبين. كانت يداها أيضا ساخنتين جدًا. كانت تشعر بالإحراج لأنها تبدو في هذا المظهر. إنها لا تستطيع أن تفهم كلامها. إنها حتى لا تذكر ما الذي جعلها تقول ذلك.

-آسفة... يبدو أن الشراب قد أدار رأسي.. لن أعمل خلال...

-دقيقة؟

-ساعة؟

قالت مخاطبة "كارلوس" و"جوان" اللذين انفجرا في الضحك:

-أوه.. أنتما الاثنان.

وصل إلى مسامعهم صوت المذياع. فتح باب وظهرت مضيفة.

-سيد "فارجاس" : سيداتي، سادتي..

وجود "سوانا" يصيبها بالحيرة ولكن عادت الابتسامة إلى شفتيها، ليست الابتسامة التي تخاطب بها الركاب غير المعروفين ولكن ابتسامة حقيقية.

www.rewayti.net

-ستغادر طائرتكم بعد خمس دقائق. من فضلكم اتبعوني.

قال "جوان" الذي رمق الفتاة بنظرة إعجاب.

-بكل سرور.

سأل "كارلوس" :

-ومتى ستغادر طائرة "المكسيك"؟

-سيتم النداء على المسافرين بعد حوالي ثلاثة أرباع الساعة.

سألها:

-"سوانا" هل تريدين أن تبقي هنا؟

-لا. سأذهب لأرى إقلاع طائرتكم.

كان صوتها غريباً ووجهها عابساً. عاد إليها قلقها. خمنت شفتيها حتى لا يخرج من بينهما تحذير آخر. غاصت نظرتها عندما نظرت إلى "ميجول" هل كانت حمقاء! هل سقطت في سحر العنكبوت؟ إنها لا تريد "ميجول" أن يبتعد عنها. لقد تركت نفسها تتعلق به، وكانت تريد أن تتعلم أن تسير على خيوط نسيجه.

-"سوانا" ؟ ألن تقولي لي إلى اللقاء؟

قال "كارلوس" مازحا:

-لقد كانت هدنة قصيرة. هانت على سجادتك الطائرة من جديد.

مرت من ذراع إلى آخر كأنها في حلم .لم تر نظرة "ميجول" تتوقف باهتمام عند وجهها، وشعرت بالكاد بيده تلمس شعرها. لقد كانت تشعر بتنميل في ذراعيها وبطول جسدها.

قالت لنفسها فقط: " إنهم بدون حقائب. لابد أن حقائبهم على متن الطائرة".

نصحها "كارلوس" الذي يهتم دائما بالتفاصيل:

-لا تنسي قبعتك وقفازك.

قال "جوان" :

-لا تضعيهما. إنهما يظهرانك بمظهر سيدة متكلفة .هل ترين عروس البحر تضع قبعة؟

لم يقل لها "ميجول" شيئا آخر، ولكنه التفت مرة أخرى لينظر إليها. صورة حية للأسف. لكن لماذا؟ إنها لا تريد أن ترحل. لكن لا يجب أن يرحل! وبمجرد أن أغلق الباب استعادت ثباتها. بشكل تلقائي جمعت أغراضها وخرجت من الصالون الصغير.

سارت في ردهات وصعدت درجات سلم.. يجذبها مكان الإقلاع. ابتعد السلم ببطء عن الطائرة، وابتعدت الطائرة التي ركبها "ميجول" وصديقاه الوقيان.

بدا هذا الوقت كأنه دهر و "سوانا" تقف وتنظر إلى الطائرة التي تبتعد. .سترتفع بعد قليل. وتشبثت أصابع الفتاة الشابة بالدرابزين وقلبها مثقل بالحزن.

انتفضت عندما سمعت صوت انفجار وصرخت في فزع.

توقفت الطائرة عند نهاية الممر، واختفت خلف سحابة من الدخان. فتحت أبواب الطوارئ في الطائرة وانزلق الركاب ليبتعدوا بأقصى سرعة عن الطائرة.

حملقت "سوانا" محاولة أن تعرف إذا كان "ميجول" بينهم ،ولكنها لم تستطع أن تتعرف على أي منهم، ولا حتى "جوان" أو "كارلوس". شعرت برعشة تسري في جسدها، وانفجرت في البكاء الذي طغى عليه نفير سيارات الإسعاف.

تم إطفاء حريق الطائرة، واهتم الطاقم بالجرحى، وأخذوا يجمعون الركاب الذين أصابهم الهلع ونقلتهم السيارات إلى المطار، بينما انطلقت عربات الإسعاف نحو المدينة.

جففت "سوانا" دموعها. يجب أن تنزل وتبحث عن شخص ما يستطيع أن يمدها بالمعلومات عن "ميجول"... وصديقيه.

www.rewayti.net

"هذا التمثال الهش لا يجب أن يترك بين الأيدي. "ميجول" يحيط نفسه بالأصدقاء ليحموه ولكنهم ليسوا أكثر منه قوة..."

اهتزت "سوانا". إنها تهذي. يجب أن تستعيد هدوءها.

يجب أن تعرف إذا كان "ميجول" وصديقاه قد جرحوا، وربما يكونون قد ماتوا؟ استندت "سوانا" إلى درابزين السلم وهي تتأوه. إنها لم تشعر أبدا بمثل هذا الخوف من أجل شخص آخر، حتى من أجل والدها الذي يسافر دائما وفي مناطق مضطربة.

إنها تعرف "ميجول" بالكاد ومستقبله بالنسبة لها مهم بدرجة كبيرة.

إنها لا تعرف لماذا. إنها مازالت لا تستطيع أن تفهم. إنها تتنبأ بالأحداث.

ولكنها تصاب بالاضطراب عندما تعي أنها لأول مرة في حياتها تهتم بشخص آخر أكثر من والدها بل أكثر من نفسها أيضا.

تذكرت رحلتها إلى "المكسيك". إنها ليس لديها حتى الشجاعة للتقدم.

الشك يأكلها، ولكنها تفضله على أن تسمع خبراً سيئا.

جلست على درجات السلم التي تقود إلى الصالة حيث وجدها "كارلوس". وضعت رأسها على ركبتيها، وحاولت أن تستعيد شجاعتها لتنزل وتواجه الحقيقة. لقد رأت في تنبؤها وجه "ميجول" يحيطه الدخان واللهب. لقد احترق إذن.

- "سوانا" .. إني لم أخطئ!

شحبت الفتاة الشابة، ونظرت إليه في فزع وهي تهز رأسها.

خشيت أن تطلب منه ألا يتحدث، وأن يتركها تطرد أفكارها المتشائمة.

صاح "كارلوس" وهو يساعدها على الوقوف :

-يا إلهي! إن حالك أسوأ من حال الركاب المساكين.. انظري يا

صغيرتي... نحن بخير. نحن لم نصعد حتى إلى متن الطائرة. هل تسمعين؟ لم نكن في الطائرة.

هزها في رفق ليخرجها عن دهشتها ،ورآها تنطفئ كالشعلة التي أطفأها الريح. لقد كان ارتياحها شديدا لدرجة أنها لم تحتمل التوقف المفاجئ لتوترها. فقدت وعيها.

-يا إلهي!

قال: "ها هي ضحية أخرى لهذه الكارثة، خسارة.. لقد كنت أحبها. الآن سيهرب منها "ميجول" كهروبه من الطاعون. هذا مالم أقل شيئا. لكنها قد تعرضت لمواقف مؤلمة. حسنا.. ها هي تعود إلى وعيها. أعتقد أنني قد وجدت الحل. سأضعها في طائرة "المكسيك" ستنسى وتقابل حبا آخر قبل أن نراها مرة أخرى".

سألت الفتاة الشابة وهي تفتح عينيها لترى وجه "كارلوس" المبتسم إليها:

-ماذا حدث؟

-لا شيء. كثير من الصخب والدخان. نحن بخير تماما. لم نكن على متن الطائرة. قبل الركوب توقف "ميجول" وقادنا إلى الخارج وسط دهشة المضيفات.

-لماذا؟

-لقد تأثر بهذيانك .لنقل الآن تنبؤك.

-هل كانت قنبلة؟

-شيء من هذا النوع. من حسن الحظ أنها انفجرت قبل موعدها أو أن الإرهابيين لم يريدوها أن تنفجر في الجو.

-يا له من فزع!

أخفى عنها أن القنبلة كان مقدرا لها أن تنفجر لحظة الإقلاع، وأن طائرتهم قد تأخرت عن الإقلاع خمس دقائق، ولا يعرف من الذي

www.rewayti.net

وضع القنبلة، ولم يكن لديهم الوقت لإيقاف المحاولة.

من ناحية أخرى، كان يسأل نفسه كيف سيفسر قرارهم بعدم ركوب الطائرة في اللحظة الأخيرة؟ ثم وجد الحل عندما تأمل باهتمام هذا الوجه الرقيق الذي بدأ يستعيد لونه. إن الصحفيين بطبيعتهم يؤلفون القصص عن قلب المغني. سيعطيهم "كارلوس" في هذه المرة المادة الأولى، وستسعد المضيفة الأرضية التي رأت "سوانا" في الصالون بأن تؤكد كلامه.

بالتأكيد لن ينطق باسم "سوانا"، وخلال بضعة أيام ستطرد مغامرة عاطفية جديدة لـ"ميجول" عن ذهن الجميع. هذه الفتاة المجهولة التي أنقذته من موت محقق.

سألت "سوانا" :

-أين "ميجول"؟

أجابها "كارلوس" :

-لقد ابتعد. أبعده "جوان" قبل أن يسرع الصحفيون إلى هنا. سنصل إلى مكان لا يعرفه أحد ثم نغادر "أوربا".

لم يكن يكذب، ولكنه لم يقل لها إن "ميجول" كان قلقا عليها، وإنه أرسله ليطمئنها. الجزء الثاني من المهمة من الممكن أن ينجزه بدون خطر.

-لقد كلفني بشكرك يا "سوانا".

-شكري؟

-بالتأكيد لو لم يرك مضطربة قلقة بشأن ركوبنا الطائرة... لكنا في الطائرة. أنت نفسك بسلوكك الغريب في لحظة الوداع كنت سببًا من أسباب تأخر الطائرة. لقد تأخرنا وانتظرونا لينتهي الأمر بأن نرفض الركوب.

لم يستطع "كارلوس" أن يمنع نفسه من الضحك.

-هناك شيء ما يجعلك تشمئزين من النجوم، ولكن بسببك

وبسببنا لم تنفجر الطائرة في الهواء. لو لم تكوني عروس البحر فأنت ساحرة طيبة.

-ربما ساحرة شريرة؟

-لا يا "سوانا". تعالي الآن ولا تنسي هذه القبعة الكبيرة... ضعيها. على عكس "جوان" أرى أنها تناسبك بشكل جميل يا سيدتي "منديجو دو بلميز". ستقلع طائرتك بعد قليل، لا تدعيها تفوتك. ماذا سيقول والدك العزيز؟ هل تخافين؟

-لا. إني لا أشعر بساقي.

-استندي إلى ذراعي. هذا رد فعل بسيط لعصبيتك. الرحلة الطويلة ستمنحك الفرصة للاسترخاء. ستكونين بخير عندما تصلين إلى مطار "المكسيك". كنت أود أن آتي معك. إني أحب هذا البلد، ولكن الواجب يناديني... إلى اللقاء يا "سوانا". ليحفظك الله. انظري، إنهم لا ينتظرون سواك.

الفصل السادس

سارت الفتاة الشابة على الأرض الرملية تتنزه. تعرج الطريق بين أشجار الورد ثم توقفت. كان الشاطئ ذو الرمال الصفراء خاليا.

إن ليالي "أكابولكو" الصاخبة تؤدي إلى الاستيقاظ متأخرًا. فكرت "سوانا" : "هنا على الأقل لن أشكو من الوحدة".

وجدت طيور البحر لعبة يبدو أنها تعجبها كثيرًا. إنها تنقر ظل الفتاة الشابة لتمنعها من التحرك أو تطير بعيدًا عنها مترًا أو اثنين وهي تصيح صيحات حادة. حرك الهواء شعرها الطويل والصق بجسدها فستان البحر الأحمر القصير المقلم بالخيوط البيضاء الذي

www.rewayti.net

لبسته فوق المايوه.

قهقهت "سوانا" وأخذت تؤرجح ذراعيها في الهواء لتطرد الطيور المتطفلة. كانت يداها خاويتين فليس معها ما تقدمه لها. لم تحن بعد ساعة التنزه على الشاطئ. لتنظر إذن حتى تأتي ساعة الصيد.

اعتلي الزبد موجات المحيط، كان لونه أخضر قرب الشاطئ وأزرق جميلاً عند العمق، ولكنها لم تفكر في السباحة هذا الصباح.. اختارت النزهة. لقد وصلت منذ يومين متعبة من الحياة التي لم تعتدها، والتي أقحمها فيها والدها. اكتفت بأن تعيش في كسل في الشاليه الذي وضعه والدها تحت تصرفها أو تتمدد في الشمس.

كانت جزيرة "روكيتا" التي تتوسط مياه المحيط اللامعة جميلة بصخورها الرائعة وأوديتها الخضراء وشواطئها الصفراء على بعد حوالي عشرين متراً منها. وجدت مجموعة من الصخور من كل الأحجام، صقلتها الأمواج وأعطتها شكلا مستديراً فكانت مثل حائط يحجب عنها الرؤية. تقدمت وبدأت تتسلقها.

تبدل شعور بالمرح بيأسها الأول. ما الذي كانت تستطيع أن تتصوره مالم يكن شاطئا مماثلا تماما للذي غادرته توًّا؟

جلست على مجموعة من الصخور المستديرة ومدت وجهها لهواء الصباح ساخرة من نفسها.

بدأت الشمس تسخن الجو شيئا فشيئا. وفي أقل من ساعة كان الجو حاراً حقا. أسرع الجميع إلى الماء أو في المنازل المكيفة ما لم يكن لديهم ما يعملون.

لم يكن لـ"سوانا" شيء تفعله، ولم يكن لديها حتى الرغبة في فعل أي شيء. هذا الحال من السعادة كان مستمرا منذ بضعة أيام. لقد بدأ منذ ثلاثة أسابيع تقريبا. لقد كانت حرة وسعيدة.

كيف؟ لماذا؟

ليس لشيء... إلا لأن الحياة جميلة.

رفعت كتفيها وابتسمت لنفسها، أو للسحابة الوحيدة التي كانت تعلوها في السماء الزرقاء أو للضباب الذي كان يغطي بعيداً "لا سيبرا مادري ديل سور".

عاتبها ضميرها: "أيتها الكسول".

"حسنا... موافقة. إني حرة؛ لأن والدي قد تزوج مرة أخرى، وهذا ليس له أي أثر بالنسبة لي. حتي لو لم يعد يحتاج إليّ كما أوحت لي هذه الفتاة الشابة الجميلة جداً التي أصبحت السيدة "منديجو دو بلميز" الجديدة".

لقد دهشت كثيراً لتصرف والدها عندما وصلت إلى "المسكيك". في البداية، جاء ليأخذها من المطار شخصيا، بينما كانت هذه المهمة يعهد بها عادة إلى السائق. كان لديه شيء ما يريد أن يخبرها به، ولكنه كان يشعر بالإحراج.

كانت متعبة من رحلة السفر الطويلة والأحداث المثيرة التي سبقتها. لم تلاحظ "سوانا" شيئا. جلست في استرخاء مغلقة العينين، تسند رأسها إلى ظهر مقعد السيارة "الليموزين" المكيفة. اضطرت لفتح عينيها عندما سمعت والدها يناديها.

- "سوانا".

تنحنح، وأخيرا دهشت الفتاة الشابة. ماذا حدث لوالدها الدبلوماسي؟ لم يكن في لقائهما شيء من الجدية، ولا حتى شيء من المدح كما هو معتاد. وعلى الفور استرسل في حديث يذكرها فيه بالسنوات الماضية، وأمها التي رحلت عن الأرض منذ زمن بعيد، عن أرواح وقلوب الرجال، صعوبة عمله ووحدته.

أخيرا قال لها:

-لقد تزوجت منذ ثلاثة أشهر و"ماريانا" تريد أن تراك بشدة.

www.rewayti.net

"إني أعرفك جيداً يا أبي، أيها السفير فوق العادة! علام تريدني أن أعترض بعد هذه المراقعة الطويلة في صالح الوفاء العاطفي الذي حرمت منه أنا نفسي، وعن الرجل المسكين الوحيد المكبل بالمسؤوليات؟".

قالت:

-إني سعيدة جداً من أجلك يا أبي . أتمنى لك السعادة. هل كان من الضروري أن تستقدمني إلى هنا؟

لم تر الدهشة على ملامح الرجل الذي استعرض منذ قليل تاريخ حياته.. آماله وطموحه. من خلال نافذة السيارة تأملت الآثار العديدة التي تبرز شموخ هذه المدينة.

مرا أمام المدينة الجامعية، حيث رسم على حوائط مكتبتها لوحة من "الموزاييك" للفنان "جوان أوجورمان" تمثل مراحل مختلفة من تاريخ البلد.

قالت لنفسها: "سأعود إلى هذا المكان قبل أن تنتبه إلى الصمت غير العادي لوالدها".

-ماراي "ماريانا" في تنقلاتك العديدة؟

آه! أخيرا اعترف بها. لقد جاءت "ماريانا" لتفرض عليه أن يستدعي ابنته ليخبرها بزواجهما.

-لم أعد شابا يا "سوانا". بعض المهمات لم تعد تعهد إليّ الآن. أصبحت لي إمكانية البقاء في وظيفة لعدة سنوات في نفس البلد.

-حسنا .. كل شيء على ما يرام .أتمنى لك المزيد من السعادة.

لم يبد أي تأثر في صوت الفتاة الشابة. لقد كانت ناعسة!

إنها لم تلم والدها حتى على أنه انتظر كل هذا الوقت ليخبرها!

لقد كان يرى أن ابنته متحفظة إلى حد مبالغ فيه، ولقد أرجع ذلك إلى فترات افتراقهما الطويلة التي جعلت منهما غريبين، أو إلى بقائها مع بعض هؤلاء المتشددين الذين كانت تقيم لديهم في المدرسة الداخلية.

إنها الآن حرة ومستقلة. لقد خرجت من المدرسة الداخلية منذ ثلاث سنوات. كان لابد أن تغير من سلوكها. المبلغ الشهري الذي يدفعه لها كان يغنيها عن العمل... في الواقع إنه حتى لا يعرف إذا كانت قد استكملت دراستها أو حتى ما هي اهتماماتها.

انتبه إلى أنه لا يعرف عنها أي شيء، وهذا ما أشعره ببعض الضيق. وحتى لو طرح عليها أسئلة مباشرة فلن تكشف له عن شيء ،ولم يجد حلا لذلك.

عاد بـ"سوانا" إلى أرض الواقع نباح كلب. كلب كبير يجلس على مؤخرته مخرجا لسانه.

-صباح الخير. من أين أتيت؟ وماذا تريد؟

-هو هوو...

ضحكت

-آسفة.. لم أدرس لغة الكلاب. ربما أكون في ملكية خاصة؟ حسناً.. سأعود من حيث أتيت.

بمجرد أن نهضت أمسك الكلب أسفل فستانها بين مخالبه محاولا أن يجذبها خلفه على الشاطئ. تقدمت "سوانا" بضع خطوات. لن تستسلم لرغبة هذا الكلب مخاطرة بأن يمزق فستانها، كما كان الكلب في حجم ضخم مما أزعجها.

قالت عندما ترك الفستان:

-إيه.. حسنا.ماذا إذن!

لم يترك الكلب الفتاة الشابة بعينيه. وقف بينها وبين الصخور التي أتت من ناحيتها يحول بينها وبين المرور. وبمجرد أن تحركت لتلف من خلفه، تحرك بدوره وأصدر زمجرة منذرة.

زفرت الفتاة الشابة وهي تنظر حولها:

-هانذا.. ولا يوجد أحد! هؤلاء الناس مجانين إذ يتركون مثل هذا

www.rewayti.net

الكلب طليقا.

اخذ الكلب يزمجر بصوت يزداد قوة .رجعت "سوانا" خطوة خطوة. توقف هذا الصوت الكئيب. وعندما توقفت عاد هذا الوحش إلى النباح. لقد بدا لها لطيفا عندما اكتشفت وجوده عند قدميها. لقد بدا حتى فرحا برؤيتها.

فكرت في الطريقة المثلى للخروج من هذا الموقف. سارت في الاتجاه الذي يرغبه الكلب. تبعها أولا وعندما وجد أنها تمتثل لتوجيهاته، سار إلى جوارها وفمه مفتوح كأنه يبتسم.

عندما اكتشفت "سوانا" طول أنيابه أدركت أنها من الأفضل الإذعان. كان الشاطئ طويلا. لم يعد لديها الرغبة في التريض. لقد بدأت الشمس تسخن بشكل قوي. استجمعت كل شجاعتها وتوقفت، وعلى الفور عاد وأمسك طرف فستانها وجذبها إلى الأمام.

-حسنا.. إني آتية.

"هذا سخيف حقا..."

إن ما كانت تعتقده جذع شجرة مدفون في الرمال على بعد خمسة عشر متراً تحرك وارتفع، وهو يبدو الآن كأنه رجل أسمر في مايوه داكن. أخيرا وجدت النجدة! أسرعت "سوانا" بخطوتها و هذا ما أسعد الكلب كثيراً وأخذ يقفز حولها.

همست في اتجاهه:

-حيوان قذر ! إذا كان سيدك هذا فإنه سيسمعني.

لكنها عندما اقتربت من الرجل تسمرت في مكانها من فرط الدهشة. ماذا يفعل "ميجول فارجاس" هنا بمفرده؟

أما الكلب فلم يقف بدون حراك، فقد أخذ يصدر أصوات السعادة ونباح تشجيع في مواجهة "سوانا". لقد نجح في تنفيذ المهمة التي حددت له . إنها لن تتوقف.. لم يعد يبقى سوى مترين.

استدار "ميجول" مستعداً للهجوم على الدخيلة. قال بوجه ثائر:

-ماذا تفعلين هنا؟ هذا شاطئ خاص. اذهبي بعيداً عن هنا.

صاحت الفتاة الشابة بدورها في غضب محاولة أن تحرر طرف فستانها من هذا الوحش:

-بكل سرور، إذا أخبرت كلبك القذر بأن يذهب ليلعب بعيداً والا يعتبرني عظمة.

كانت الشمس في عيني "ميجول" فلم يلاحظ سوى الخطوط الأنثوية للدخيلة التي جاءت لتزعج خلوته. أيضا نساء! قفز على قدميه ونادى كلبه بصوت قاطع لا يقبل أي تمرد، وابتعد بسرعة نحو الطريق الذي يختفي في ظل الحديقة.

-برونكو!

في أسف خفض الكلب أنفه وتبع سيده. كم هم حمقى هؤلاء الرجال! إنه متأكد أن هذه السيدة الشابة التي اكتشفها هي أكثر النساء مناسبة لسيده. كان ذلك الأخير كئيبا جداً وتعسا منذ فترة طويلة! حتى عنايته بكلبه الذي يحبه لم تعد بنفس الاهتمام. كانت النزهات كئيبة ولم يعد يلعب.

أما "سوانا" فقد جلست فوق الرمل. إنها لا تفهم سبب هذه المقابلة الجافة. اعتقدت أنها ستفقد وعيها من شدة الفرحة عندما رأته سالما وفي حالة جيدة وقد اكتسب اللون البرنزي. الآن قد فسد يومها وخمدت فرحتها.

هذه الفرحة التي يخفق بها قلبها منذ أن أفاقت من الصدمة العاطفية التي انتابتها بسبب الهجوم الذي تعرضت له طائرة "ميجول"، وعندما عرفت أنه قد نجا وأن "ميجول" حي و الركاب أحياء أيضا انفجرت فرحتها، وكانت الحياة جميلة.

وابتسمت من قلبها لزوجة أبيها التي احتارت قليلا بسبب هذا

www.rewayti.net

السلوك .كانت "ماريانا" تتوقع ان تقابل فتاة غيورا وعابسة فاصطدمت بفتاة جميلة جداً فرحة ولكنها غير مبالية . غير مبالية بوالدها ولا بحياته الجديدة.ولا بها هي نفسها "ماريانا"، واحيانا كانت تسخر "سوانا" من العمل الدبلوماسي .

قالت معانية زوجها:

-ابنتك غريبة.

-إنها كذلك دائما. لقد تقبلت زواجنا بشكل طيب. لنسعد إذن بذلك.

-إنها لا تقدر أيا من جهودي لاقدم لها اصدقاءنا. لن يأتي أبدا هؤلاء الشبان لزيارتنا مرتين.

-هل تريدين تزويجها؟

لم تجب "ماريانا" بنعم أو لا. لقد استشعرت بمعارضة ابنة زوجها، ففكرت في هذا الحل القديم قدم الزمان وهو ان تتخلص منها بدفعها في أحضان زوج.

وصل إلى سمع "سوانا" هذا الحديث. لقد كانت تمر بالردهة ولقد دفعها هذا إلى رد فعل عملي. لقد طلبت من والدها أن يجد لها بيتا على ساحل المحيط الهادي حيث تجد حرية أكبر.

زفرت: "أوه.. حسنا. لابد ان هناك تفسيرا. اما الآن فلماذا أحزن؟ مازالت الحياة جميلة".

-سوانا! عروس البحر!

-أوه.. حسبك!

قال "جوان أورتيز" ضاحكاً:

-يا له من استقبال سيئ. هل أصاب مزاج "ميجول" السيئ طبيعتك الطيبة؟

-المزاج السيئ؟ هذا تبسيط.

-لا تهتمي بذلك. من ناحية أخرى، إنه لم يتعرف عليك. لقد قال لي إن هناك... امرأة دخيلة.

-لا... ربما.

-اترين! إنه لا يستطيع ان يرى في ضوء الشمس.

-ساروي لك. أين تسكنين؟ في الفندق؟

-لا. في شاليه على الشاطئ.

-هذا لطيف جداً.. كيف عثرت علينا؟

قالت "سوانا":

-هل تعتقدون أنكم بهذه الاهمية في حياتي؟ يالله من ادعاء! إن الكلب هو الذي وجدني وجذبني بالقوة إلى هنا. لقد أصابني بخوف شديد .ما لم توثقوه سأقدم شكوى.ليس لدي أي نية في أن يتكرر ذلك.

قال "جوان" ساخراً:

-لابد أن "ميجول" كان سيئا للغاية.

سألته "سوانا":

-من هو "ميجول"؟

-هيا يا سيدتي "منديجو دو بلميز" كما يدعوك "كارلوس"، لا تكوني شريرة بهذه الطريقة.

هانا قد وصلت إلى حدود محظورة، ممكن أن تثرك ذراعي، أقسم انني لن أعبرها أبدا.

-سأوصلك حتى منزلك، وسادعو نفسي لشرب القهوة.

-للأسف ليس لدي كلب ينبح بشدة.

-الا تريدين أن تعرفي؟ الن تدعيني أشرح لك أي موقف صعب وضعنا فيه "ميجول" في اليوم التالي لرحلتنا التي فاتتنا إلى "الولايات المتحدة"؟

www.rewayti.net

-هل هو منزعج منذ هذا الوقت؟

-لقد هدأ قليلا.

زفرت:

-حسن جداً. لقد ربحت. أريد أن أعرف لكني أتمنى حقا ألا أراه مرة أخرى.

-يجب أن تريه يا "سوانا". لقد نهر "ميجول" كلبه الذي جذبك إلى مكانه. ولكن لم يكن الكلب "برونكو" مخطئا. وربما تكونين أنت الإنسان الوحيد الذي يستطيع أن يخرجه من مخبئه.

-تفضل.

وهي تعد القهوة، كانت "سوانا" تسأل نفسها: "لماذا يختبئ "ميجول"". في الحجرة المجاورة سمعت "جوان" يتحرك يميناً ويساراً، إنه يتصرف مثل الكلب "برونكو" بدون شك. من المستحيل التخلص منه عندما يقرر أن يلاحقك.

قالت مازحة وهي تحضر صينية الشاي:

-ماذا اكتشفت؟

-إن هذا المنزل لا يناسب ذوقك.

أشار بذراعيه في حركة شاملة إلى الشاليه الذي أثث بأثاث غال بشكل واضح، حيث لم يترك شيء للمصادفة. لا يوجد أي خيال ولا أي فكرة غير مألوفة.

-تماما.. إني في ملك زوجة أبي الثانية.

-لم أعرف أن والدك تزوج للمرة الثانية.

ضحكت الفتاة الشابة:

-ولا أنا حتى وصولي إلى "المكسيك".

روت له باختصار ما اكتشفته في "المكسيك". كانت مرحة وهي تتحدث، بينما عبس "جوان".

قال وهو يغمز بعينه:

-كنت أفضل "سوانا" الحالمة الحزينة. لقد كانت تحتاج إلى مواساتي. إذن هل مازلت غير مرتبطة؟ ألم يستطع أي من هؤلاء الشبان أن يوقعك في حبه؟

-غير مرتبطة وسعيدة. اشرب إذن، ستبرد القهوة.

-عندئذ ساكون متأكدا أنني لن أحرق لساني.. حسن جدا. يجب أن نضع خطة إنقاذ، نحن الاثنين.

-"كارلوس" ليس موجودا؟

-كيف تستطيعين أن تسألي هذا السؤال؟ إنه مشغول تماما بالشكاوى، ويطوف العالم ليهدئ هذا وذاك. يؤجل المطالبات بأقصى ما يستطيع على أمل أن يعود "ميجول" إلى حالته الطبيعية. إنه يعاني الاكتئاب.

-هل هذا صحيح؟

-بشكل ما نعم. إنه اكتئاب عنيف.. عاصفة.. إعصار.

قالت "سوانا":

-هدئ من العمل. ماذا حدث؟ لقد أكد لي "كارلوس" أنكم بخير وفي مكان آمن ومستعدون لمواصلة رحلتكم. أين الأسطوانة؟

-لم يعد هناك ولايات متحدة ولا أسطوانة ولا حفلات ولا "ميجول فارجاس".

-"جوان".

أجاب الرجل:

-بالنسبة لي فأنا بخير تماما. من ثلاثة أسابيع وأنا أستريح، وبي طاقة زائدة غير مستغلة.

-ماذا فعلتم عندما غادرتم المطار؟

-عدنا إلى الشقة التي أعدها أحد أصدقاء "ميجول". في هدوء

www.rewayti.net

وبمجرد أن وصلنا فتح الراديو وبقي إلى جواره ينتظر النشرة. دائما الصمت ثم صرخ أحد الحمقى: "إن محاولة الاعتداء على الطائرة تمت بدافع عاطفي. أراد زوج غيور أن يمحو من على وجه الأرض وجود غريمه، وياله من غريم! إنه "ميجول فارجاس" بشخصه. لم تكن زوجته تكف عن الإطناب في مدحه...."

-مجنون؟

-نعم أو لا. أنت تعرفين الدعاية التي تحيط بـ"ميجول" عن فتنته للنساء، أضيفي إلى ذلك الغيرة التي يثيرها النجاح التجاري لـ"ميجول" وما حققه من ثروة. من الواضح أن هذا الرجل تصور أنه منقذ البشرية من الخطر وهو يخدم مصلحته الشخصية.

-لكن لقد تعود "ميجول" على ذلك.

-ليس عندما يتعرض مائة وخمسة وثمانون إنسانا لخطر الموت بسببه. ربما يكون قد اعتاد أن يحاول أحدهم قتله شخصيا وليس قتل الأبرياء.

-القاتل يتميز دائما بطبيعة قاسية. لقد أراد أن يحقق هدفا مزدوجا بقتل "ميجول"، ويلوث اسمه.. يدمر مكانته في قلوب معجبيه بتدمير قدرته على بعث السعادة في النفوس أو الحب والرومانسية التي يمنحها لهم.

-هذا ما شعر به "ميجول". في البداية انتابته ثورة غضب. حطم الراديو وأخذ يصرخ..." تبا! أفضل البقاء هنا". وبعد ذلك أغلق على نفسه في غرفته، وعندما خرج منها أخيرنا بأنه قد توقف عن كل شيء.

-ولكن في...

-إنه ليس طفلا مدللا. لقد حقق نجاحا في عمله لأنه تمنى المستحيل. لم يكن شيئا سهلا ولا مجانيا بالنسبة له. لقد أسر العالم بعمله الدءوب و الإتقان الفني لأغانيه...

-وهذا السحر الذي في شخصيته أيضا؟

-ربما يكون ذلك نتيجة لاحتياجه الاساسي بأن يعجب به الآخرون، ويكون متميزا. لقد طلب كل شيء من الحياة وحصل تقريبا على كل شيء. إنه يكافح ضد الزمن والنسيان ويربح. ولكن لم يجعله هذا النجاح سعيدا. اليوم يعاني الوحدة. إنه مثل النجم الذي يبعد مسافات خيالية عن الآخرين. لا يستطيع أحد أن يصل إليه أو يفهمه.

زفرت الفتاة الشابة. الآخرون... بماذا شعرت في وجود "ميجول" عندما كانت بين الآخرين؟ لقد كان هناك عدم توافق بينهما وتعثرت الكلمات على لسانها.

-إنه يعزل نفسه.

سألها "جوان" في حدة:

-هل تعتقدين أنه أمر يمكن احتماله عندما يكون الرجل هدفا؟

-أين الخطأ؟ مظهره الخارجي، صوته وأغانيه. كل ذلك يجعل منه شخصا نادرا، وينعكس ذلك على الناس وهذا طبيعي. البعض مجانين بحبه، والآخرون بالحسد والحقد عليه.

-هذا مناف للعقل!

-لقد تحول إلى ما يشبه الأسطورة. إنه ليس سوى مغنٍ.

تمتمت "سوانا":

-بالنسبة لي، حيويته، سحره وشجاعته، كل ذلك يكفي لإثارة إعجاب أي شخص. ماذا تريد من معجبيه أن يشعروا بغير ذلك؟ عندما يكره وردة تذبل وعندما يلاحظ أخرى تزداد جمالا.

صاح "جوان":

-"سوانا" أأنت أيضا؟

-عفوا؟... أرجو المعذرة. إني أحدث نفسي. ماذا نستطيع أن نفعل له؟

www.rewayti.net

تمتم "جوان" وهو ينظر إليها في غيظ:

-لقد كنت أود أن أعرف.

-ماذا تقول الصحافة؟

-سأحضر لك بعض القصاصات بعد الظهر.

-هذا إذا تركك تأتي لمقابلتي.

-سأكذب عليه.

قالت "سوانا" وهي توصل "جوان" إلى الباب مازحة:

-أشعر بالفخر لكل هذا الاهتمام.

-سأتعلل بنزهة "برونكو".

-لا أريد أن أرى هذا الوحش مرة أخرى.

-لقد تعرف إليك وسيتركك في شأنك الآن.

شعرت ببعض الوحدة عندما تركها "جوان". عاد إلى خيالها صورة "ميجول" في المرتين اللتين كان لطيفا فيهما. إن "ميجول" لابد أن يكون ساحرا.

"إنه شخصية فريدة ولذلك يجب إعادته إلى العالم".

يالها من فكرة مجنونة تلك التي سيطرت على الرجل منفذ الهجوم على الطائرة. شعرت من جديد بالخوف والقلق كما في "مدريد" عندما شاهدت عملية إخلاء الطائرة. أخذت تدور بالحجرة، وانتهت بأن جلست إلى مكتب قد وضع عليه أوراق وأظرف وأقلام. وبشكل تلقائي كتبت:

أشعر بدفء يتخلل روحي فلا تبك
صوتي يتكسر، لا تصرخ
إذا جرحت نفسك فأنا التي تتألم
وإذا تعثرت خطواتك فأنا التي تسقط
خذني، افتدي حياتك بحياتي....

نبعت هذه الكلمات من عمق أعماقها لسبب حتى الآن يبدو مجهولا. لقد ولدت المرأة بداخلها، واكتشفت الحب دون أن تعي. إنها تسميه حنان أو صداقة. لم تكن تعرف سوى شيء واحد: إنها تريد أن تصالح "ميجول" على نفسه وعلى الآخرين.

الفصل السابع

مضى على لقاء "ميجول" بـ"سوانا" أربعة أيام. كانت قد تقابلت مع "جوان" مرة أخرى، وتعرفت على "برونكو" كلب المغني، ولكنها لم تر هذا الأخير.

كان "جوان" قد أحضر لها قصاصات الجرائد التي ظهرت في الساعات والأيام التي تبعت محاولة الاعتداء على الطائرة.

اكتشفت في شكل ممتزج: حيلة "كارلوس"، بعض الإطراء ومظاهر التعاطف مع المغني المشهور، النقد واللوم أيضا تجاهه، يبدو أن الإعلام مهتم جدا بهذا المغني.

قالت "سوانا":

-لقد وجدتم حيلة للتهرب.

أجاب "جوان" وهو يرفع كتفيه:

-هذه ليست المرة الأولى.

سألت في مكر:

-من كانت هذه السيدة الشابة الغامضة التي توصل "ميجول" إلى الطائرة؟

-أوه، تعرفين أنه يجب أن نجد سببا لهذا الانسحاب الذي تم في آخر دقيقة. أما الحقيقة فهي مدهشة حقا.

www.rewayti.net

ضحكت "سوانا" .

-كلما كانت الحقيقة مزيفة كانت أكثر دهشة.

استطرد "جوان" :

-ليس الحل في كل هذه الثرثرة.

-على العكس، لدي تماما ما نحتاج إليه.

-ماذا؟

-نعم، لقد أكدت لي ذلك أنت نفسك: "ميجول" يريد أن يكون الأول، أن ينجح. إنه يحب النساء ويحب أن يثير إعجابهن.

-إنه الأول ولقد نجح. والنساء يعشقنه وتعرض لفقد حياته بسبب ذلك.

-خطأ! اقرأ إذن هذا المقال الذي كتبته امرأة.

-لا يمكن توحيد رأي الجميع.

-في هذه النقطة أنت بعيد عن الحساب. وفقا لكلامها فإن العالم ضحية لهلاوس سمعية جماعية. "ميجول" يفتقر إلى الموهبة، غير موفق وممل وكريه.

أوقفها "جوان" في حدة كأنها تهاجمه هو شخصيا:

-كفى! لابد أنه قابلها ولم يعرها أي انتباه. لا يوجد حقد أكثر من امرأة مهملة.

-هذا أيضا خطأ. إنها شخصية ذكية، ولم تكن لتتوقف أمام مثل هذا الموقف، وجريدتها حارة وهي معروفة كناقدة جيدة للموسيقى.

-تمتم "جوان" :

-إلام يقودنا ذلك؟

-بمجرد أن يكون النصح أكثر ملاءمة يجب أن يرى هذا المقال. لابد أن يكون لـ "ميجول" رد فعل.

-أفضل أن أراه هادئا.

-أنا أيضا. هل لديك شيء آخر تقترحه؟

-تعالي إلى المنزل لتتحدثي معه.

-كما تستطيع أن تفعل أي من معجباته؟ هذا تصرف غبي. سيسخر مني هذا لو لم يشتمني. إذا رغب في رؤيتي فسيجدني. نحن نسكن على مقربة لا تزيد عن خمسمائة متر.

يبدو أن "ميجول" لم يجد الطريق أو أنه لا يرغب في أن يجده.

كانت "سوانا" تفكر بينما يلهو الكلب "برونكو" أمامها. لقد عرف الطريق عن ظهر قلب. كان يأتي إليها مرتين أو ثلاثا في اليوم. بعد أن قدم "جوان" كلاهما للآخر لم تعد تخاف من هذا الوحش الذي بدا رفيقا مرحا لها.

صاحت فيه وهو يتمدد على الرمال متجاهلا العصا التي قذفتها له.

-هيا أحضرها أيها الكسول.

-"برونكو"، انهض..

التفتت "سوانا" في دهشة. كان "ميجول" يقف في ملابس البحر الحمراء، وشعره يطير في الهواء، ووجهه عابس ينتظر أن يطيعه الكلب.

"لا بأس! لقد وجدني، ولست أنا من كان يبحث عنه. من الأفضل أن أهرب منه".

دون أن تقول له صباح الخير ولا حتى أن تبتسم، استدارت ورحلت في خطى سريعة. إلى الجحيم يا "ميجول فارجاس" أنت وكلبك ومشاكلك. إنه يأتي دائما ليعكر صفو لحظات مرحها وسكينتها. كانت ستستمر في هذه التمتمة وقتا طويلا ما لم تشعر بيد تمسك ذراعها.

-أهلا يا عروس البحر! هل أنت غاضبة؟

تردد شعورها بين الدهشة والغضب. ابتسم "ميجول" وجذبها نحوه ليغوص بعينيه الخضراوين الغامضتين في عينيها. مئات النجوم

www.rewayti.net

اللامعة تلألأت في عينيه الداكنتين.

زفرت "سوانا" قبل أن تنفجر ضاحكة:

-أوه ! هذا أنت؟

-أنا رجل مستحيل، لقد قلت ذلك توا. لقد قلت أشياء عديدة يا جميلتي طيبة وسيئة، ولكني لست غاضبا مما قلت، هل نعقد صلحا؟

-نعقد صلحا؟

-لم أتعرف إليك المرة الماضية.

-وماذا بعد؟

اعترف "ميجول":

-كنت سأقول نفسي ما قلت ولكن بطريقة أقل حدة وسوقية.

ضحكت الفتاة الشابة وهي تبتعد:

-يا له من شرف لي.

-هل تهربين؟

-لا. تعرف جيدا... أحب أن يكون لي مساحة حيوية. شيء مثل نطاق ممنوع أن يتجاوزه الآخرون.

-هل هذا بشكل دائم؟

-تقريبا. لم لا؟ أنت أيضا يبدو أنك بحاجة إلى مثل هذا النطاق. أخيرا...

-هل تثبتين لي ذلك؟

-إذا كنت سعيدا هكذا فنعم. هل أنت سعيد يا "ميجول" ؟

أجاب بقوة وبسرعة:

-نعم. لا... إذكيف أكون محروما من شيء جوهري في حياتي؟

استطرد أمام نظرتها الصافية التي تتحداه أن يكذب:

-عملي، الموسيقى، الأغاني، الجمهور، هذا الشعور بأني أطير عاليا. دائما عاليا الذي لم أعد أجده.

-ألم تعد تغني؟ ألم تعد تعزف؟

-لا. لا أريد أن يكون لي صلة بعد بـ...

-الجيتار لن يؤذيك في شيء .هل تريد نصوصا لقراءتها؟ أكتب كثيرا، ولكن هذه النصوص بعيدة عن أن تكون أغاني.

أجابها صفير آخر من "ميجول" ينادي كليه، وذهب في اتجاه الصخور غاضبا. "سوانا" لا تلعب اللعبة المناسبة. كان يجب أن يكون دورها مواساته وتدليله قبل أن تقترح عليه أن يعود إلى العمل .لا، لقد سخرت "سوانا" منه، إنها لا تريد أن تعرف كم يتألم!

لقد كانت غير مبالية. كانت تجد أنه من الطبيعي أن يعود إلى عالم الشخصيات المجهولة.. إلى الظلام. إنها تنصحه بأن يعزف على جيتاره كأحد الهواة ليشغل وقته، ويعطي درسا في نظم الأغاني لكاتبة مبتدئة. إن "سوانا" تريد أن تستفيد منه. إنه يكره أن يستغله أحد. بعد أقل من ساعة وجدت "جوان" يتقدم إليها مذعورا . كان يناديها من بعيد وهو يجري. خرجت في هدوء من الماء حيث كانت تلعب بالكرة مع بعض الأطفال ووصلت إليه بدون عجالة.

قال الرجل:

-ماذا فعلت به؟ إنه يصرخ. إن ثورته أكثر مما كانت عليه في "مدريد" . لقد أوثق "برونكو" وهو يتأوه بدون توقف. انتهى بأن قال لي أن أذهب لأرى إذا كنت مازلت هنا.

-لم أفعل شيئا على الإطلاق. لقد قلت له إنه محق، ونصحته. بأن يعزف على الجيتار ليستمتع بالموسيقى التي بدا أنه يفتقدها.

-ليس في ذلك شيء. لابد أن نشجعه وأن نخرجه من إحباطه وخموله.

-أحامل هو؟ هذا الـ...

-لا داعي للاشتائم.. سيقطع فمك الجميل هذا ويستأصل

www.rewayti.net

أذني. هل تمانعين في أن تدعوني لتناول القهوة؟

أجابت "سوانا" في دهشة:

-قهوة مثلجة نعم. لكن لماذا بدا عليك الارتياح فجأة؟

-ربما... سنرى أن إجابات أصدقائه جعلته يفتر، وأصبح لديه سلسلة من الإجابات الجاهزة التي لا تحتمل النقاش. لم يقل له أحد حتى الآن: "حسنا افعل كما تشاء. اعتزل الحياة الفنية وعش من دخلك واقض الوقت في عزف الموسيقى". آه.. أنت عبقرية يا "سوانا".

-إني مقتنعة بذلك. حتى لو لم اقصد كل كلمة قلتها له.

-سنرى كيف سيتطور الموقف، وبعد ذلك سنقرر. ألم تحدثيه أيضا عن النصوص التي تريدين إصلاحها؟

-نعم. هذا ما جعله يهرب.

-هو لا يريد، كما يشاء، ولكن انا وانت نستطيع ان نعمل هذا العمل. هل أنت موافقة؟ إني لا أعرف أين أهرب من "ميجول".

-هل تريد عملا؟ ستجده. انتظرني قليلا، ساعود.

دخلت الفتاة الشابة غرفتها، وفتشت في حقيبتها دون أن تفرغها جميعها. أخرجت منها ملفا من الورق المقوى لونه أصفر كتب عليه بخط عريض "غني للحياة".

حصيلة عمل ستة أشهر في "مدريد". مئات الخواطر والملاحظات التي دونتها.

وبقي أهم جزء في العمل وهو أن تختار أي النصوص يصلح ليكون أغنيات، ونظمها بطريقة قاطعة، وأن تجد مغنيا حساسا يقبل أن يغنيها. كان هذا العمل كثيرا عليها بمفردها، ولكن بمساعدة "جوان" يجب ألا تيأس.

ضحكت في نفسها "قد يعيش "ميجول" البيات الشتوي ستة أو ثمانية أشهر، وبذلك يستطيع أن يأخذه فترة راحة، وفي هذه الأثناء

يساعدني "جوان" في أغنياتي":

تخلت بسرعة عن الجزء الأول من فكرتها. يجب ألا يترك "ميجول" مهنته طويلا.

لكنها أصرت في قرارة نفسها على هذا الرأي.

"قليل من الراحة سيفيده إلى حد كبير". يبدو أنه قد زاد وزنه قليلا. لو لم يكن حزينا هكذا...

قال "جوان" وهو يمسك بين يديه الملف الثقيل:

-أهذا كل شيء؟ إن الأغاني لاتباع بالكيلو.

ضحكت "سوانا":

-ليست كلها لها موسيقى. هيا نشجع. يجب أن نعمل.. الأمر صعب عليّ بمفردي، فأنا غير قادرة على فقد كتاباتي.. واحدة أو اثنتان ربما تكون مقبولة وتحتاج إلى بعض التعديلات.

-إيه.. حسنا. لن أطلب أكثر من ذلك. لنبدأ، سآخذ الباقي لأقضي السهرة والليل... وبدون شك الليالي القادمة.

-يالك من شجاع. ولكن من فضلك لا تجهد نفسك.

-كم أنت طيبة ومحسنة يا سيدتي "منديجو"... وهذا ما يعجبني فيك. نعم نستطيع أن نستخلص منها شيئا. هذه الأولى... الثانية...

زفر ونظر إلى الفتاة الشابة في دهشة:

-ماذا هنالك؟

-كم بها من أغنيات؟

-لا أعرف حقا... تقريبا مائتان. هل هي سيئة إلى هذا الحد؟

-لم أقرأ منها سوى اثنتين، وهما نصان يصلحان لـ"ميجول".

ماذا تريدين أن أفعل؟ إذا نظمناهما ربما لن نجد من يغنيهما سوى "ميجول" و"ميجول" ينعزل بعد أن ينتهي من الصراخ.

www.rewayti.net

-لننظهما. إذا اعتزل "ميجول" فسيحاول آخر أن يأخذ المكان الخالي الذي سيتركه. ربما يعجبه ذلك.

-صديقة سيئة وغير وفية.

-إيه.. قليل من الهدوء! أحتاج إلى أن أعيش حياتي أنا أيضا.

-يا لها من كذبة كبيرة!

-لن أعيش طوال حياتي معتمدة على أبي، لن تسمح "ماريانا" بذلك. لم يأخذ "ميجول" مني سوى أغنية واحدة وسينتهي الأمر بالا تُسجل أبدا.

-حسنا لتستمر الحياة.

كانت "سوانا" تعرف أنها تكذب على "جوان". عرفت ذلك عندما أجابته. كل نصوصها كانت مكتوبة لـ"ميجول" وليس لأحد آخر. إنها تريد نظمها وتاليف الموسيقى لها، ولكنها لن تغنيها بنفسها أبدا. لتذهب "ماريانا" إلى الجحيم. ستستمر في قبول المصروف الشهري الذي يرسله إليها والدها.

بعد يومين أعاد إليها "جوان" الملف الأصفر. أخرج منه حوالي اثني عشر نصا، وصنف حوالي عشرين آخرين جانبا.

سالته وهي تصب له القهوة التي طلبها:

-ألم تتعب؟

-تعبت ولكنني شاكر. مثل عالم المنجم الذي يكتشف المعدن الثري. سنعمل أولا في الاثني عشر نصا هذه. إن موضوعاتها متقاربة ويمكن أن تمثل ألبوما كاملا، والنصوص الأخرى خلال سنة أو سنتين لقد أحضرت الجيتار وساسمعك أول لحن خطر لي.

-ماذا يفعل "ميجول"؟

-"ميجول"؟ أي "ميجول"؟

عاتبته "سوانا":

-أوه "جوان".

-قال:

-حسنا جدا.. مازال يتمتم بصوت عال.

-مثلك؟!

-إنه يعزف على الجيتار أيضا. يبدو أنه ينفذ أفكارك الغبية.

-ستدفعه الموسيقى إلى الغناء.

-إنه يغني! أكثر ما سمعت من أغنيات حزن. إنها تثير بكائي.

-أنت تبكي

وانفجرت "سوانا" في البكاء. نظر إليها "جوان" مستاء، ثم تملكه الضحك بدوره، ولم يستطيعا أن يتوقفا. كل التوتر الذي تراكم خلال الأيام الماضية قد تلاشى ولم يستطيعا أن يسيطرا على هذه الموجة من الضحك.

-أحب أن أضحك أنا أيضا.

منذ كم من الوقت كان "ميجول" يقف عند عتبة باب الصالون الصغير، ينظر إليهما وهما يدمعان من كثرة الضحك؟ كسرت نظرته المزدرية سحر هذه اللحظة. مسحت "سوانا" عينيها اللامعتين مثل حبتين من الزمرد.

كان عليه أن يتوقع تدخل "ميجول". إنهما لم يتقابلا منذ يومين تقريبا. كان "ميجول" حبيس غرفته يقرأ نصوص "سوانا" ويدندن على جيتاره تاركا الشخص الذي كان -حتى هذا الوقت- محط رعايته. ولم يعجب "ميجول" هذا التحول الأخير.

-ماذا تفعلان؟

قالت الفتاة الشابة:

-كنا سنعمل ولكني قلت قولا أحمق.

قالت في نفسها: "هل سيعاقبنا"، ثم نظرت إلى "جوان" محاولة

www.rewayti.net

أن تجد مساعدته، لكن بمجرد أن نظرت إليه عاد إليها الضحك ففضلت أن تبعد عنه نظرها.

-أي نوع من العمل؟

زفر "جوان" :

-أغان. ليس لدينا شيء آخر نفعله.

-لمن؟

-لا نعرف بعد. هناك مادة تصلح لثلاثة ألبومات وسنجد من يأخذها.

-إذن أنت تهرب من السفينة التي ستغرق مثل الفار.

فزع "جوان" شاعرا بالإهانة. كان "ميجول" شاحباً ينظر إليهما كأنه يريد أن يضربهما.

قالت "سوانا" مدافعة:

-يجب أن أعمل، و"جوان" لا يستطيع أن يبقى دون أن يفعل شيئا لا طائل منه.

غطى على نهاية جملتها صوت الباب وهو يصفق بشدة خلف المغني المشهور.

قال "جوان" :

-لقد أهانني. أنا أفضل أصدقائه لقد تقاسمنا الأوقات العصيبة قبل الطيبة خلال عشر سنوات ويتهمني بأنني أتخلى عنه!

قالت الفتاة الشابة بصوت مرتفع:

-ليس في مصلحتي أن أتواجد أمامه مرة أخرى ... أعتقد أنه أعلن الحرب عليّ. بالتأكيد لي تأثير سيئ عليه والعكس صحيح، وعلى الرغم من ذلك لا أشعر بأنني أريد الشجار معه. ولكن في كل لقاء يحدث ذلك...

قالت وهي تخبط على الطاولة:

-حسنا.. إنها الحرب. إنه جاهز الآن. "جوان" أخرج هذه

القصاصة التي تحتفظ بها من الجريدة وضعها في مكان واضح وتجنب حتى أن تظهر له نواياك.

-سيقتلني هذه المرة.

-أقترح عليك أن تأتي إليّ في الخبأ إذا كنت خائفا.

-خائف؟ أنا؟

ضحكت "سوانا" :

-هذا أيضا ما قلته لنفسي.

قال "جوان" عندما رأى أنه قد وقع في الفخ:

-أنت لست سوى ساحرة شريرة. أنت تضحكين من شقائنا.

-إني أريد نفس الشيء الذي تريد: أن يعود "ميجول" إلى نفسه وإلى محبيه.

قال الرجل:

-اتفقنا. لا أريد أن أعود إليه الآن...

-لا داعي للعجلة. دعه يتأمل الفارق بين العمل والجلوس بدون عمل. إني أدعوك إلى العشاء. هذا المساء، استمر في البحث عن الموسيقى، موسيقى فرحة.

-ألا تبالغين قليلا؟

-لا أعتقد ذلك... إنه يحب أن يسمع له الآخرون، يتبعوه. إذا أدرك أن سلوكه يبعده عن أصدقائه المخلصين لأنه لا يتفق مع طبيعتهم سيطرح على نفسه أسئلة عن مشاعره الحقيقية ،وعندها سينتهي من تأنيب نفسه. انتظر حتى يكون هادئا قليلا وفجر القنبلة...

-كلمة تعسة.

-لقد فهمتني.

-وأعقد ذراعي بعد ذلك.

اختفى "جوان" يومين، وعانت "سوانا" لافتقادها الأخبار، كما عانت

www.rewayti.net

قلة النوم. "ألم تلعب حقا دور الساحرة الشريرة كما اتهمها "جوان"؟، ألن يكون رد فعل "ميجول" هو الاختفاء الكامل بالإضافة إلى هجر أصدقائه له؟"

لم تجرؤ على مغادرة الشاليه. وكانت تدور حول الصالون أو في غرفتها. ماذا يحدث هناك؟ لن تجرؤ أبدا على الذهاب إلى الفيللا حيث يعيش "ميجول". لقد كان لقاؤهما الأخيران بالغي الحدة. اقتنعت مرة أخرى بأن وجودها نذير شؤم بالنسبة للمغني.

لماذا لم يأت "جوان"؟ راقبت عيناها طريق المدخل. نزلت الطريق وتوقفت عند الأشجار، والتفتت إلى الحاجز الصخري وبقيت هناك دقائق طويلة بدون تفكير. يجب أن تعود إلى الشاليه تأكل وتشرب وتحاول أن تنام وتنتظر.. دائما تنتظر. على طاولة الصالون كانت الأوراق التي يغطيها خط يدها المستدير الواضح مازالت في نفس المكان بدون فائدة، حتى الكلمات لم تجلب لها أي مواساة.

أغنية حياتي

الكلمات المنسية لا تستطيع أن تعبر عن أفكاري

وسط عدم التسامح وظلم العالم

حتى الحب الذي هرب في يوم ما،منسي

أغنية حياتي

أخيرا عندما رأت الفتاة الشابة أن "جوان" قد أتى، راحت تستقبله وهي تجري من بعيد. شعرت بالانزعاج عندما رأت التعبير الذي ارتسم على وجهه.

-ماذا حدث؟

أجابها:

-كارثة.

-أرجوك أخبرني.

-لقد انتظرت حتى هذا الصباح. كان "ميجول" يعزل نفسه في غرفته. لم يشرب شيئا ولم يأكل شيئا لأكثر من أربع وعشرين ساعة. وعلى الرغم من ذلك كنت مجنونا إذ طاوعتك.

هل قرأ المقال؟

-لو لم يره لكنت تركته في درج المكتب مع القصاصات الأخرى. كان الملف مفتوحا ويوجد أعلاه هذا النقد الملعون.

سألت "سوانا":

-وماذا بعد؟

-لقد قطع المقال، وقذف النافذة باصيص الزهور الخزفي فانهار قطعا صغيرة وقذف النافذة الأخرى بالمقعد، وقلب الطاولة، وأثار جنون الكلب الذي أخذ ينبح في ثورة.

-ماذا قال؟

-قال إن هذه الناقدة التافهة لو كانت ذكية لتنحت عن هذا العمل لأنها تخرف،. وإنها يجدر بها أن تبقى في سريرها بدلا من أن تحضر حفلاً موسيقيا وهي نائمة ولا تعي لما تسمع،وإن وهنها الجسدي ربما يبرر وهنها العقلي...وإنها كاذبة وغشاشة وصفات أخرى أكثر قسوة.

-رد فعل طبيعي. إنه في أفضل حالاته.

-لكن أين هو؟ لقد خرج من حطام المنزل ليختفي في الطبيعة. لقد فتشت الجزيرة.. لا يوجد أحد.

-هذا مثير للقلق. لابد أنه منهك بسبب هذه الثورة.

سمعا صوتا مألوفا لهما يقول:

-لقد ارتحت هكذا، برافو! هكذا الأصدقاء الحقيقيون، الأوفياء، المخلصون، الصادقون.

تمتم "جوان" باسم "ميجول" كأنه قد رأى شخصا ما عائدا من الموت. توردت "سوانا" حتى منبت رأسها. لقد كان "جوان" محقا:

www.rewayti.net

إنها صورة شخص ما عاد إلى الحياة وليس شبحا.. لم يعد "ميجول" النجم المكسور. إنه "ميجول فارجاس" العظيم الواثق بنفسه، الابتسامة على شفتيه والافكار تملأ رأسه، ويريد أن ينفذها على الفور. وفي هذه الجزيرة يبدو ذلك مستحيلا.

- "جوان"، أمامك ساعتان لتحزم الحقائب. ستركب طائرة الساعة الرابعة المتجهة إلى الولايات المتحدة. الاستديو غير مشغول.. سنبدأ في التسجيل غدا. "كارلوس" ثائر جدا. لقد نجح في إقناع الجميع في تأجيل ارتباطي مدة شهرين. يجب أن نعيد ترتيب كل شيء.

تمتم "جوان":

- شهران من الراحة لن يضرا أحدا. والأغنية التي من المقرر...

- سنرى.. "سوانا"، اذهبي واحزمي حقائبك. لقد حجزت ثلاثة مقاعد.

استطرد ساخرا:

- تستطيعين أن تستمري في العمل مع "جوان" بشرط أن تعطيني نصوصك إذا كانت هي رغبتي. هيا.. لا تضيعا الوقت.

- البيت.. لا تستطيع أن ترده في هذه الحال. لقد دمرت كل شيء فيه.

- سنشتريه، وسنعود إليه في وقت فراغنا. هذه الجزيرة تعجبني حقا، والمنزل أيضا. نحن فيه في مخبأ عن أي شيء...إلا العيون الخضراء والافكار العبقرية للسيدة "منديجو دو بلميز" كيف سيفكر في ذلك والدك العزيز؟

- فيم؟

كانت الفتاة الشابة تتشكك في التداعيات التي يثيرها وجودها بالقرب من "ميجول". كانت نظرتها مباشرة وواضحة. إنه لم يرها أبدا تحاول إثارته وتتودد إليه وهو من ناحيته لم يفعل.

كان "جوان" قد أصيب بالدهشة عندما كشف له "ميجول" عن وجود "سوانا" على جزيرة "روكيتا" والدور الذي لعبته في قراره بالعودة إلى عالمه الطبيعي الذي تمتزج فيه الفرحة والألم، والذي أصبح اليوم متأكدا من أنه لا يستطيع الاستغناء عنه، وليس له الحق في ذلك.

نظر "ميجول" إلى "سوانا" وهي تجمع في هدوء الأوراق المبعثرة على المائدة و تضعها في ملف أحمر. قفزت الكلمات المكتوبة على الملف إلى عينيه: أغنية حياتي.

حياتي تغني لتوافق وعذوبة الأفكار
حياتي تغني لكي يزدهر العقل والصداقة
لكي نجد الحب خلف الحقائق
أغنية حياتي

هذه الكلمات التي أتته بتلقائية تشبه دون أن يعرف الكلمات التي كتبتها الفتاة الشابة منذ شهور في "مدريد". هما الاثنان لا يعرفان ذلك ولكنهما يتقاربان، وعقلاهما يتواصلان.

حياتي تغني
لحن السعادة لتطرد الحزن
تغني لحب جديد...

تحدث في هدوء بشأن القرارات التي اتخذها مع "كارلوس" من خلال التليفون، فأعلم "جوان" بكل ما حدث. إنه يستمتع الآن بكل لحظة. كانت "سوانا" بالحجرة المجاورة، ليست بعيدة جدا، ولقد أراد أن يستفيد من ذلك دون أن يفهم "سوانا"، كانت قريبة، والحياة حياته تستعيد طريق المجد والعبودية.

قال مخاطبا "جوان" الذي بدت عليه علامات الدهشة:

- سأبني حياة جديدة. لن أتركهم بعد الآن يستغلونني. لست سوى إنسان لي عيوبي و مميزاتي. ليستفيدوا من مميزاتي ويتركوا لي

www.rewayti.net

عيوبي وضعفي.

توقف. لقد ظهرت "سوانا" عند عتبة غرفتها. في يدها حقيبة وصندوق قبعة.

-أنا جاهزة. أستطيع أن أساعدكما في المنزل...

قال "ميجول" :

-لم يعد منزلا حقيقيا.

قال "جوان" ضاحكا!

-آنسة "متديجو دو بلمبز" هل أستطيع أن أخلصك مما تحملين؟

قال "ميجول" وهو يزيح عنها القبعة التي تعتلي رأسها:

-من فضلك اخلعي هذه القبعة، نحن لا نستطيع أن نراك. إنها تناسب هذا المكان فقط.

-دعونا لا نجعل من هذه القبعة المسكينة موضوعا للسخرية... آسفة يا أبي، لن أكون على المستوى اليوم.

قال "ميجول" :

-بالمناسبة، كيف حال والدك؟

-بحالة جيدة.. شكرا.

بعد قليل مد إليها يده متأملا النتائج الناجمة عن تبدل مزاجه. ابتسمت ثم انفجرت في الضحك. ضحكة كريستالية بدون سبب. لقد كانت الحياة جميلة، والعالم جميل، و"ميجول" في أحسن حال.

قال لها:

-أريد أن يكون لي بيت أستقبل فيه أصدقائي، وسنجعل منه أكثر البيوت محافظة.

وبعد بضع ساعات من الطيران عندما وصلوا إلى منزل "ميجول" القريب من أكثر استديوهات التسجيل شهرة في العالم قال لها:

-بيتي هو بيتك.

الفصل الثامن

ابتسمت "نيللي روفير" :

-لقد كنت تحبينه إذن، وذهبت وراءه...

قاطعتها "سوانا" :

-بدون شك.

تأملت لحظة الديكور الذي يحيط بها. لقد اختارت هذا البيت قبل حتى أن تصبح زوجة "ميجول"، دون أن تعرف أنه سيصبح الإطار المفضل لحياتها.

-لم أكن ألاحظ شيئا. لا أعرف. كنت أتمنى له كل الخير ألفت له الأشعار، والأخطر أنني كنت أبحث له عن المرأة المثالية، ولو كنت وجدتها لقدمتها له، لكني لم أجدها. كنت أريد أن أبني له عالما من الحب، وعليه هو أن يبني عالما من الحب للآخرين.

لقد كانت غير واعية بمشاعرها تجاهه.

قالت "نيللي" :

-هل كان ذلك بسبب الحلم السيئ الذي حلمت به؟

-لقد كان هذا حاجزا بيني وبينه... كما كان هناك حواجز أخرى.

-كنت تخشين تماما على حياته، وسعدت عندما رأيت أنه كان سالما.

-أعرف. كان عليّ أن أفهم أنني أحبه. لم يخطئ "كارلوس" و"جوان" في هذا الشأن، لكنني... لم أكن غيورا. كنت أعرف أن له عاشقات. كنت أريده سعيداً فقط.

-هذا غير واقعي.

www.rewayti.net

-ربما لأنني تعودت منذ نعومة أظفاري أن أحتمل كل شيء دون أن أشكو ليكون أبي سعيداً بي، وأن أخفي مشاعري. علي الرغم من ذلك، لم أر أي واحدة من النساء المحيطات بـ"ميجول" جديرة به.

-ولا واحدة؟

- بهن جميعا عيب خطير.. إن "ميجول" لا يحبهن. كان يطرح على نفسه هذا السؤال: "هل يحبني لنفسي أم لنجاحي كمطرب؟" وكعامل أساسي كان هذا الشعور هو الدافع الأول لقراره بالاعتزال بعد الاعتداء على الطائرة.

-متى اكتشفت أنك تحبينه؟ ومتى عرف أنه يحبك؟

-لن أجيب إلا عن نفسي. ذات يوم خرج حبي من الظل، في يوم آخر شعر به المحيطون، وفي يوم آخر كدت أن أفقده. وأخيراً بدا لي كأنه سيف من نار؛ لأن الآخرين أرادوا أن يفصلوا بيننا. كان قلبه ينادي قلبي، وجسده ينجذب إلى جسدي، وكأن روحينا تتحدثان.

أشرق وجه "سوانا" وارتسمت على وجهها ابتسامة أضاءت وجهها.

-انتهت عند هذا الحد حياتي المتنقلة. مهما كان حال الجو: صيف، خريف، شتاء، كنت أعيش بدون هدف. ولكني كنت محقة منذ بضعة أشهر عندما قلت إنه سيكون هناك رجل يحقق لي الاستقرار، رجل واحد هو "ميجول" الذي لم يكف هو الآخر عن التنقل.

-ألم يكن هو عوضا عن والدك؟

-لا. ولقد حرص "ميجول" على أن يتأكد من ذلك.

الفصل التاسع

كان عالم "ميجول فارجاس" الخاص مليئًا بالأصوات والموسيقى.

حفلات في الحدائق و بالقرب من حمامات السباحة ووسط الأبنية المرتفعة.

تمددت "سوانا" وابتسمت للمرأة التي سحبت الستائر لتترك الشمس تدخل الغرفة.

-هل حانت ساعة الاستيقاظ؟

-بالتأكيد يا سيدتي! الساعة الحادية عشرة. اشربي الشاي قبل أن يبرد.

شربت الفتاة الشابة تحت عيني المربية اليقظة التي ذكرتها بأهم مواعيد اليوم كما تفعل في كل يوم.

قالت لها:

-ليس لديك لحظة واحدة لنفسك. حاولي ألا تتأخري وسيمر كل شيء على ما يرام. "ميجول" ينتظرك الساعة الثانية عشرة لغداء خاص لن يحتوي على أكثر من عشرة مدعوين.

هزت "سوانا" رأسها. إنها تشعر كأنها طالبة في مدرسة. منذ وصولها ومنذ أن أودعها "ميجول" في هذا المنزل الصغير ذي الطابع الأوربي تحت حماية "مارجريتا ليبفا" وهي تطيع كل توجيهاتها.

على بعد أقل من مائتي متر، كان "ميجول" و"جوان" و"كارلوس" يسكنون منزلا آخر على طراز عصري، منخفضا وأبيض، به نوافذ لامعة. كانت "سوانا" تعيش في مناخ إنجليزي من حشائش مقصوصة بعناية: قرميد وردي وورد رقيق. سألتها "مارجريتا" وهي تأخذ دشا:

-هل عملت حتى وقت متأخر بالأمس؟

www.rewayti.net

-ليس أكثر من المعتاد. لقد عدنا في حوالي الثالثة صباحا.
-هل انتهى العمل أخيرا هذه المرة؟
-نعم، وللاحتفال بهذه المناسبة سنهلك في الاجتماعات طوال اليوم.
-نادي معجبات "ميجول فارجاس" له تأثير قوي هنا، وقد تتأثر به المبيعات. هؤلاء السيدات شغوفات به، وهذا الاستقبال أمر تقليدي. كل عام يستقبلهن "ميجول".
-هذا العام يستقبلهن بشكل خاص إذ إنه يفتح أبواب منزله.
-هذا أمر ضروري أن يحتفل بنجاحه. أقصد...
ضحكت "سوانا":
-فهمت. أنت تمزجين بين الطقوس والخرافات.
قالت "مارجريتا":
-هل أنت من...
قاطعتها "سوانا":
-لاشيء على الإطلاق.
-إني أقرأ الجرائد، بالإضافة إلى أن "جوان" ثرثار، ولا تنسي أنكم تعيشون معنا منذ أربعة أشهر.
-إني أعمل مع...
-الجميع يعلمون. ولكن طريقتك في العمل خاصة جداً. إني لا الومك على شيء. فأنت تنامين كل ليلة في سريرك وتحت سقف بيتي ولا أحد يستطيع أن يجد في ذلك سوءا.
-باستثناء الصحفيين الذين يحبون الإثارة.
-هناك دائما من هؤلاء، ربما لا يكونون مخطئين في بعض المرات.
قالت الفتاة الشابة في جفاف لتضع حداً لهذا الحديث:
-أنت رومانسية للغاية.

ماذا يحدث هذا الصباح؟ لماذا تخلت "مارجريتا" عن تحفظها المعتاد؟ حتى الآن لم يكن لدى "سوانا" مشاكل سوى مع الغرباء عن عالمها الجديد. بعض المتطفلين قد يتساءلون عن العلاقات المحتملة أو الخاصة التي قد تجمعها بالمغني النجم، ولكن بغير تدخل حقيقي. أما أن يبدأ المقربون في التساؤل فإن الموقف يتحول بسرعة إلى أمر غير محتمل.

على الرغم من أن سلوك كليهما تجاه الآخر لا تشوبه شائبة مع "مارجريتا" التي تصاحبهما في كل مكان فذلك لا يعطي فرصة لأي أقاويل. إنها لم تتواجد أبدا بمفردها مع "ميجول" إلا وكان يحيط بهما الآخرون. كان "ميجول" ودودا ويحترمها. ولم تجد "سوانا" شيئا خاصا في حياتهما المشتركة.

من ناحية أخرى كان هناك الكثير من الشابات الجميلات يطفن حوله.

عطرت "سوانا" جسدها بماء الكولونيا، ولبست بشكيرا أخضر، وتوجهت إلى الغرفة. كانت الجدران مبطنة بورق حائط مرسوم عليه ورد وكذلك الأبواب. قالت لنفسها وهي تتأمل دولاب فساتينها:

"إنني سقطت في علبة حياكة جدتي"

الملابس المناسبة للصباح منتقاة. لبست بسرعة بنطلون "جينز" أزرق "وتي شيرت" أبيض. ومن أجل السهرة فردت على السرير فستانا أسود طويلا بسيطا جدا وأنيقا جدا، له فتحة صدر صغيرة.

كانت الساعة الثانية عشرة إلا الربع عندما انتهت من إعداد نفسها واضعة في شعرها بنستين من كل جانب.

وأصدر حذاؤها الرياضي الأبيض أزيزا على درجات السلم الداكنة. في هذه الساعة، كان البيت خاليا. لابد أن "مارجريتا" تشرف على آخر ترتيبات الغداء. زفرت "سوانا" وهي تعبر البوابة الخشبية البيضاء

www.rewayti.net

للحديقة.

"لقد نسيت أن أسأله أين سيكون الغداء. هل أذهب إلى حمام السباحة، البيت، على المركب أو في إحدى الحدائق؟"

-أهلا يا عروس البحر! أنت تسيرين في الاتجاه الخطأ.

جاء صوت "جوان" من عند يمينها. نظرت بين الحشائش العالية الكثيفة التي تغطي هذا الجزء من الحديقة.

صاحت:

-أين أنت؟

-في مخبأ، بعيدا عن المقتحمين. إني أترقب وصولك منذ ربع ساعة.

كشف عن نفسه، وبدا لها على بعد أقل من مترين كعفريت العلبة.

قال:

-سنأكل على المركب. هناك صخب كبير حول المنزل.

-ماذا يفعلون إذن؟

-ديكور داخلي وخارجي.

ضحكت "سوانا":

-غزو أم ماذا؟ ألم نكن نعيش في هدوء تلك الأيام الماضية؟

-إذا كان الهدوء يساوي خمس عشرة ساعة عمل في اليوم فالإجابة نعم.

-لكننا أخذنا إجازة في "أكابولكو".

-أعترض، لقد قضينا الوقت كله في التنقل بين المحلات والأسواق ومحلات العاديات.

-يجب أن تشعر بالسعادة. لقد انتهينا من طبع الأسطوانة وأعددنا للقادمة.

-أشعر بقدوم العاصفة. لقد اجتمعت مؤشراتها: "كارلوس" هادئ جداً وغير مبال و "ميجول" واجم ومنعزل.

-وأنت كئيب بدلا من أن تضحك من كل هذا.

-لا يوجد سواك حتى لا تشعري بشيء ولا تري شيئا. هل أنت سعيدة يا "سوانا"؟

أكدت الفتاة الشابة مبتسمة:

-جداً.

-ألا تطلبين شيئا آخر من الحياة أكثر مما تعطيك إياه الآن؟

أكدت في دهشة:

-لاشيء.

سألها في إصرار بصوت كئيب:

-كل شيء على ما يرام؟

أجابت "سوانا":

-بالتأكيد! لماذا تحاول أن تحبطني؟ هل ستقول لي مباشرة ماذا يدور برأسك؟

-ألا تريدين أن... أن تري والدك، وأو أصدقاء عزيزين؟ "جوزيه" مثلا.

-في النهاية يا "جوان" إن والدي لا يحتاج إليّ. لم يحتج إليّ أبدا. أما أصدقائي فليس لي أصدقاء حقيقيون "جوزيه"... لم أره منذ مهرجان العام الماضي.

-أما أنا فقد رأيته.

-أين؟

-هنا.

صاحت "سوانا":

-"جوزيه" هنا؟

www.rewayti.net

-نعم! لقد تلقيت الصدمة الأولى: يبدو أننا دمرناك: سمعتك، موهبتك... كل شيء.

-ماذا أصابه؟

قال "جوان":

-ربما يكون غيورا .إنه يريد إقناعك بالرحيل معه. إنه يهدد بأن يخبر والدك.

قالت الفتاة الشابة في غيظ:

-ما الذي يجعله يتدخل؟ ما الذي يدفع الجميع للتدخل اليوم؟

قال "جوان" عندما لاحظ رد فعلها:

-صه. لا داعي للثورة. لدينا ضيوف مهمون. عائلة "براجال" وابنتهم الكبرى الجميلة "إيزابيللا ماريا دولوريس".

ضحكت "سوانا" وهي تتعلق بذراعه دهشة لتحول مزاجه فجأة:

-هل هذا كل شيء؟

-متى يمثل؟ عندما يشعر بالقلق على سعادته أم عندما يبتسم لمجموعة الأشخاص الذين ينتظرونه على ظهر المركب؟

وتمتم "ميجول" وهو يلتفت إليها تاركا المحادثة التي بدأت مع أحد المدعوين:

-أين كنتما، أنتما الاثنان؟

قال "جوان" مبتسما:

-نحن في الموعد تماما أيها الرئيس .الساعة الثانية عشرة.

بينما جذب شخص ما "سوانا" من ذراعها.

-أخيرا وجدتك! من الصعب جدا الدخول إلى بيت "فارجاس" .ألا تشعرين بأنك سجينة؟

-أوه "جوزيه"، كيف حالك؟

لم تكن "سوانا" تنظر إليه. لقد كانت عيناها متعلقتين بـ"ميجول".

كان يلبس بنطلون "جينز" بنفس لون بنطلونها وقميصا أبيض به خطوط وردية رقيقة جدا. ملابس مناسبة لغداء مع أصدقاء.

ابتسمت في فرحة. إن "ميجول" في أحسن صورة كما كان دائما.

أرادت أن تسأل كل الموجودين كأنها أم فخور بوليدها: "هل هو جميل؟" بالتأكيد لم يكن "جوزيه" يفهم، وكان "ميجول" سيصاب بدهشة. لا يهم.. إنها سعيدة فقط لأن "ميجول" مرة أخرى مركز اهتمام الاجتماع.

الآن هو ينصت إلى رجل ذي شعر أبيض يحدثه.

نظرته المنتبهة لم تغادر هذا الوجه المفعم بالحيوية. عاطفة ما ارتسمت على وجهه.

قالت الفتاة الشابة لنفسها: "لابد أنه يعرف هذا الرجل ويقدره".

إنها لا تستطيع أن تخطئ، منذ بضعة أشهر وهي تراقب "ميجول" باهتمام... تعبيرات وجهه، أبسط حركاته.

فجأة التفت نحوها في جزء من ثانية. تقابلت نظراتهما وارتسمت ابتسامة ماكرة على شفتي الرجل. كان يعرف أنها مازالت تنظر إليه. كان سيشعر بالغيرة إذا توجهت نظرة "سوانا" إلى شخص آخر .لقد كانت عينا الفتاة الشابة الخضراوان تلمعان بالعاطفة.

ربما تعني ذلك يوما ما ؟ حتى الآن من الأفضل عدم دفعها.

قال وهو يمد إليها يده:

-"سوانا"، تعالي أقدم لك رجلاً يشرفني بصداقته. صديق عائلتي...

همست الفتاة الشابة لتنضم إلى "ميجول"، ولكنها سمعت تعبيرا تركها في دهشة كبيرة. هل سمعت جيدا؟ هل قال "جوزيه" حقا هذه الجملة الوقحة؟

-هو يصغر وأنت تجرين!

www.rewayti.net

انتصب "ميجول" ناسيا محدثه. مرت نظرته بين "سوانا" الحائرة و"جوزيه" الغاضب، وارتسمت ابتسامة ساخرة.

-تقليد بسيط وستكون "سوانا" حرة في لحظة.

كان صوته الأجش عاليا ووصل بعيدا فجذب انتباه الجميع إلى الرجل الشاب الذي شعر بالإحراج.

"أوه "ميجول"".

كانت تعرفه جيدا حتى أنها لم تشك في أنه قد فعل ذلك عمدا. لقد جذب انتباه الجميع نحو "جوزيه" الذي يتنافر وجهه العابث ومظهره الغاضب مع الجو المرح الذي يجب أن يحاط به.

ولقد نجح. لم يعد "جوزيه" يعرف أين يذهب، وهو يدين بالعرفان لـ"كارلوس" الذي جاء ليلحق به ويجذبه إلى حديث مع أحد الفنانين من أصدقائه.

أما "ميجول"، فهو فرح بنفسه. أحاط خصر "سوانا" بذراعه وجذبها نحوه ليقدمها إلى عائلة "براجال". في فرحة ماكرة أخبر أصدقاءه بصفات واختصاصات الفتاة الشابة بطريقة جعلتهم لا يعرفون حقا ما هو مكانها بالنسبة له.

وعلى عكس ما أخبره به "جوزيه". لقد احتفظ بها إلى جواره طوال الغداء. أجلسها عن يساره وأجبرها على الاشتراك في الحديث، كأنه لا يستطيع أن يتخلى عن رأيها في أي شيء. رأت "سوانا" نظرات الدهشة عند البعض والغيظ عند البعض الآخر بسبب معاملته لها.

سألت نفسها عدة مرات: "ما هذا الدور الذي يلعبه؟"

في لحظة ما قال:

-لـ"سوانا" أمنية غالية وهي أن تعيش بالقرب من سفير. وهذا هو أغلى حلم في حياتها. وأنا سفير بدون خطاب اعتماد.. أليس كذلك يا "سوانا"؟

همست الفتاة الشابة متوردة خجلاً:

-كيف تستطيع أن تقول مثل هذه الأشياء الـ...الـ...

-الغير لائقة؟ الأمانة أحيانا تكون كذلك.

وبعد قليل وجد موضوعا آخر للحديث، ولكن لم تستطع الفتاة الشابة متابعته. لماذا هاجمها بهذه الطريقة؟ لقد استشفت بنية تختفي وراء هذه الكلمات، ولكن ما هي؟ هل يعاتبها لأنها تعلقت به لتعوض فقدانها العاطفي لوالدها بعد أن تزوج للمرة الثانية؟

الأمر مختلف كليا. الحياة بالقرب من والدها كانت كالذي يحلم بإمساك القمر. حلم طفل لا يمكن تحقيقه. إنها لم تكن تتمنى أن تعيش بالقرب من "ميجول" أيضا. إنه هو الذي قادها خلفه. وحتى هذه اللحظة لم تفكر في أن الأمر يتعدى بينهما علاقة العمل.

إنها لم تتوقع أبدا أي إشارات للحنان كما كانت تنتظر من والدها. كانت تعيش بذكاء بين الجميع ومعه هو على الأخص. لقد كانا يؤلفان النصوص بشكل رائع معا، هو يبدأ وهي تجيب.

ماذا أصاب الجميع؟ "مارجريتا" أولا ثم "جوان" وبعده "جوزيه" والآن "ميجول" نفسه!

-هل تذهبين إلى المدينة يا "سوانا"؟

انتفضت عندما سمعت صوت "كارلوس" وضعت قدح القهوة فارغا وتبعته. كان الآخرون قد انصرفوا حتى دون أن تلاحظ. وهما يصعدان الجسر الخشبي الذي يصدر أزيزاً تحت قدميها أخبرت "كارلوس" بتحركاتها التي يجب أن تجريها بعد الظهر.

أجابها:

-يجب أن أمر على استديوهات التسجيل. هل أستطيع أن أوصلك إلى أي مكان؟

-وسط المدينة. أريد أن أتسوق وبعد ذلك سأمر على "الكوافير".

www.rewayti.net

-لنعودي اتصلي بـ"مارجريتا" و سترسل لك سيارة.

ساعدها على ركوب سيارته، وانطلق في هدوء سالكا الطريق الخاص بالمنزل حيث تتجاور البيوت الاكثر فخامة وامتيازا الواحد بجانب الآخر. عند الباب الذي حرس هذه الجنة الصغيرة الفخصصة للملياردیرات النحية في لطف، ولكن عيونهم كانت تفتش داخل السيارة.

ضحكت "سوانا" :

-هل نحن مشكوك في امرنا؟

-إنها دواعي امنية. من يعرف كيف سيكون الهجوم القادم؟

تمتمت الفتاة الشابة:

-حسنا.. لا تجعلني اشعر بالإحباط انت ايضا.

-ألست على ما يرام؟

اعترضت على الفور:

-بلى بالتاكيد . لا اعرف لماذا اقول ذلك ؟جملة في الهواء.

-طريقة حياتنا مختلفة عن حياتك. ربما بدأت تتعبين.

-لا، على الإطلاق! إني سعيدة جدا بحياتي الحالية.

-اخبرني "جوزيه" انه يحتاجك لكتابة بعض النصوص. إنه يريد...

-الا يستطيع ان يكلمني بنفسه؟

-اراد ان يحدثك في ذلك اثناء الحفل ولكنك جلست إلى جوار "ميجول" . شعر بانك تتجنبينه. ولقد اكدت له عكس ذلك. هل انا محق؟روى لي كم كنتما صديقين العام الماضي. إن مستقبله كبير كما تعرفين.

لقد بدا يعرف الشهرة. يطلب موسيقاه العديد من المغنين المشهورين.

قالت "سوانا" :

-انا سعيدة جداً من اجله.

شعرت من جديد بعدم الارتياح. لماذا يحدثها "كارلوس" عن "جوزيه" بهذه الاستفاضة؟ لماذا يتهمها بشكل ملتو بانها ملتصقة بـ"ميجول" ؟لابد انه راى ان "ميجول" بنفسه هو الذي احتجزها إلى جواره.

سالها:

-ما رايك في "إيزابيللا براجال" ؟

رمقته "سوانا" بنظرة حادة. ها هو يبدأ من جديد! منذ متى و"كارلوس" يهتم برايها في الفتيات الجميلات اللاتي يقتحمن حياته؟

عاد إلى خيالها صورة الفتاة الشابة الشقراء ذات البشرة البرنزية الرائعة، وحاولت ان تجمع بين صورتها و"كارلوس" فكادت ان تنفجر ضاحكة.

-إنها جميلة جدا، لطيفة، مثقفة ومتعلمة وبالتاكيد تصلح زوجة طيبة.

ثم اضافت وابتسامة عريضة على شفتيها:

-زوجها سيكون رجلا سعيدا.

"ولكني لا اراك في هذا الدور".

"كارلوس" يحب! لم يكن ينقص سوى ذلك. كم عمره. إنه اقرب إلى الخمسينات منه إلى الاربعينات. و"إيزابيلا" في الثامنة عشرة.

هذا يفسر التغيير الذي حدث في سلوكه منذ ايام كما اخبرها "جوان". "بصراحة "إيزابيللا" لا تتناسب معه ابدا". بالإضافة إلى ان الآنسة الصغيرة لا تخفي إعجابها بـ"ميجول". لقد لاحظت "سوانا" نظراتها إلى المغني المشهور. مسكين يا "كارلوس" .

www.rewayti.net

استطرد "كارلوس":

-"ميجول" يعرف عائلة "براجال" منذ زمن طويل. إنه مرتبط بهم. قابل "إيزابيللا" عدة مرات في هذه السنوات الأخيرة. كما تقولين إن زوجها سيكون رجلا سعيدا".

أجابت "سوانا" دون أن تكشف عن استنتاجها:

-حقا؟

إن "كارلوس" يخرف الآن. هل ذلك بدافع الغيرة؟ هل ستتزوج "إيزابيللا" بـ"ميجول"؟

لقد لاحظت المحاولات التي تبذلها الشقراء البرازيلية تجاه "ميجول"، كما رأت لمعة السخرية التي تومض بها عينا "ميجول" تجاه هذه المحاولات. كم عدد الشابات اللاتي أوقعهن في شباكه منذ أن تعرفت إليه؟ كثيرات.

همست في داخلها: "إنه من الصعب إصلاحه.. ربما. إنه إنسان ساخر ولا يقع في الحب أبدا. ما الذي يشغلك؟ من الأفضل انتظار المعجزة. يوما ما سنجد من تحقق له السعادة، وسيكون هذا اليوم يوما مباركا".

سألت "كارلوس":

-هل تزوجت من قبل؟

-نعم.. ولدي أبناء كبار.

سألته "سوانا" في دهشة:

-أين؟

-في "إسبانيا". عندما بدأت العمل مع "ميجول" كنت أختفي شهورا كاملة. أخبرتني زوجتي بأنها تحتاج إلى زوج يقيم معها في بيتها وليس زوجا بتيار الهواء، ولقد طردتني.

-أوه!

-هل صدمت؟

-قليلا.

-أنت معتادة الانتظار، أليس كذلك؟ ولكن مع وجود أطفال فهذا هو الجحيم. ولقد شكرتها؛ لأنها لم تترك لي الخيار. كنت سأتألم إذا تركت عملا أراني شغوفا به تماما مثل تألمي لترك أطفالي.

-في الواقع أنت لا تراهم، وبالتأكيد أنت لا تعرفهم جيدا.

-هل تتكلمين عن التجربة؟ أنت مخطئة يا صغيرتي. إني لا أراهم كثيرا ولكني أعرفهم جيدا، وكنت أعرفهم جيدا دوما. لنا أحاديث طويلة من خلال الخطابات وحتى التليفون.

-هذا مدمر.

-لا يهم. نحن نتقابل كلما سنحت الفرصة. إني أكرس نفسي لهم. ولكني لا أوصي أحدا بأن يواجه مثل هذه الحياة خاصة أنت. لقد عانيت بالقدر الكافي لافتقادك للعائلة في طفولتك. اختاري زوجا مستقرا يا "سوانا" هذا ما تحتاجين إليه.

اعترضت قائلة:

-توقف قليلا! لا أرغب في أن يقيدني أحد.

-ألا تحلمين بزوج وأطفال تدللينهم؟

سألت الفتاة الشابة حالمة:

-هل هذا ضروري؟ ليس لي أحد، وهأنا أعيش. هل لديك عريس مناسب؟ سأخبرك على الفور بأنني أعرف كل العرسان المناسبين في "المكسيك". لقد حرصت زوجة أبي على أن تقدمهم إليّ، ولقد هربوا مني.

-ألم يعجبك أحد منهم؟

-لماذا أنت متأثر إلى هذا الحد؟ هل ستبكي؟ لابد أنك مصاب بالحنين إلى العائلة. كل الناس في بلادك يعانون ذلك. اكتئاب عابر؟ كن لطيفا ودعني بعيدة عن حنينك إلى الزواج.

www.rewayti.net

-خسارة. أعتقد أنني أعرف رجلا سيصاب بخيبة أمل. كان يبدو له أنك مستعدة للذهاب معه إلى أي مكان.

"جوزيه" ؟

-من غيره؟

-آه فهمت. كان يرى نفسه منذ قليل الفارس الذي يدافع عن شرف سيدته. بالمناسبة كيف عثر علي؟

-لقد اتصل بي، وسهلت له دخول البيت الذي تشدد عليه الحراسة. كان له الحق في ذلك إذ إن أغنية من تلحينه تدخل في آخر البومات "ميجول".

-كم أنت لطيف! لقد فهمت كل شيء الآن. لقد أردت أن تحيي أملا لا وجود له. ما يدهشني...

-ماذا؟

-إن "جوزيه" يعتقد أنه يحبني. هذه الفكرة تبدو لي سخيفة. إنه يهتم بمستقبله وشهرته أكثر مني.

-ربما لم يرد الإفصاح عن مشاعره قبل أن يكون على المستوى لتاسيس بيت وتحمل المسؤولية.

-المسؤولية النفسية على الأخص. لقد أثبت لي "جوزيه" دائما أنانيته. يجب أن أرضخ إلى إرادته كليا حتى لا أفسد إبداعه.

-نحن نعاني نفس الأعراض. أليس كذلك؟

-لا. فريقكم ونظام عملكم مثالي. فكركم مفتوح على الآخرين. لا أحد بينكم يعتبر نفسه عبقرية لا يفهمها المحيطون به.

قال "كارلوس" عابسا:

-هانت قد وصلت.

قالت في نفسها عندما رأت عبوسه: "هذه ليست دار عبادة ولا مقابر". شكرته بحرارة وأملت أن تقضي فترة بعد الظهر بشكل

طيب. لقد عرفت معنى بسيطا للهجمات المختلفة التي كانت ضحيتها منذ أن استيقظت.

"إن لديهم مشكلات عاطفية... ليس أنا. كل شيء منظم في حياتي وفي قلبي".

الفصل العاشر

عندما انتهت فترة بعد الظهر خرجت "سوانا" من محل "الكوافير" وهي في أحسن حالاتها النفسية محملة باللفائف، ناسية التصرفات الغريبة للمقربين إليها وأسئلتهم وتدخلاتهم.

لقد وجدت كل الهدايا التي أرادها "ميجول" ليشكر أعضاء نادي الهواة. لقد عهد إليها بهذه المهمة مع توصيات عديدة تظهر كم يعرف هؤلاء الذين يخلصون له وكم يهتم بهم.

جلستها عند "الكوافير" قد أراحتها من تعب التسوق، وكانت ممتنة جدا لعمل مصفف الشعر. لقد أجرى لها تسريحة انسيابية وطبيعية جداً دون تعقيدات، ولكنها مثالية في الأناقة. الشمس والبحر قد فتحا لون شعرها خلال الأشهر الأربعة فأصبح يلمع كالذهب ويغطي كتفيها في حيوية.

مع الفستان البسيط الذي اعتزمت أن تلبسه، ستكون ذات جمال خاص جدا. لقد اعترفت بذلك منذ قليل وهو أنه يجب أن تكون على المستوى.

ووجدت نفسها متحمسة تماما وكثيرة الإعجاب بمظهرها وخاصة عندما كانت تكتشف نظرات الإعجاب التي كان يرمقها بها "ميجول".

www.rewayti.net

وعبارات المجاملة التي كان يطلقها "جوان" كانت تسعدها. وعبارات "كارلوس" المحسوبة كانت تطمئنها، ولكن كل ذلك لم يكن ليؤثر فيها ما لم يكن "ميجول" راضيا عنها. يجب أن ترضي أولا صاحب المكان.

وبمجرد أن توقفت السيارة التي أرسلتها إليها "مارجريتا" أمامها ركبت "سوانا" بسرعة ،وتوجهت إلى شقتها لتكمل استعدادها. سلمت الهدايا في المنزل الرئيسي حيث تولت أمرها السكرتيرة.

"ميجول" و"جوان" يجريان بروفة لأنها سمعت موسيقى تأتي من ناحية حمام السباحة الذي سيقام حوله الحفل. بالتأكيد انتهت "مارجريتا" من إعداد البوفيه. استقبلها المنزل برائحة مميزة لقائمة الطعام الشهية.

بعد أن أخذت كوبا كبيرا من عصير الأناناس الطازج صعدت السلم ببطء حتى لا تحدث أي خسائر. ولكنها كادت تسقط الكوب من يدها، وعندما مرت أمام إحدى الغرف الخالية في الطابق الأول وسمعت أصواتا انتفضت "دخلاء!"

من الذي قد يكون في هذا المنزل الذي كانت تعتقده خاليا؟ كانت الأبواب الخشبية الداكنة سميكة جدا ومبطنة من الداخل حتى أنها لم تميز الأصوات رغم محاولتها.

فكرت: "كان يجب على "مارجريتا" أن تخبرك" وعلى الفور سخرت من نفسها: "لقد أصبحت محبة للامتلاك يا فتاتي. على أية حال أنت لست سوى ضيفة هنا: ضيفة لا تبرح المكان".

رفضت أن تترك نفسها للشكوك التي حاولوا أن يدخلوها إلى نفسها منذ بداية اليوم. كانت تعرف أنها سترحل في يوم ما. لقد عرفت ذلك دائما. وهذه لم تكن مشكلة.

قالت و هي تخلع ملابسها : "المشكلة أنني لم أعد أرغب في

الذهاب إلى مكان آخر".

كانت تشعر بالحرارة فكان للدش تأثير منعش عليها. يجب أن تجد مكانا آخر للإقامة وبسرعة. لماذا تشعر بالحزن؟

هل هذا الجزء من الولايات المتحدة يجذبها على الأخص؟ لا. إنها فقط لا تريد أن تعود إلى شقتها في "مدريد".

المكان الوحيد الذي تشعر فيه بالسعادة وهي تفكر هو جزيرة "روكيتا" والمنزل المليء بالضوء والخضرة الذي أعادت تأثيثه مع "ميجول".

قالت لنفسها: "إني متأكدة أنني سأكون سعيدة دائما هناك".

سألها ضميرها: "وحيدة؟"

كيف تكون وحيدة بينما هو منزل "ميجول"؟ في هذه المرة كانت دهشة حقا. نظرت إلى صورتها في مرآة الحمام واكتشفت وجهها الدهش.

"لدي مشكلة بدون شك... هل ستحتاجين "ميجول" فترة طويلة؟ أقصد كم من الوقت ستستمر في العمل معا؟".

استطرد صوت ضميرها:

- "لماذا تفكرين في أنه يحتاج إليك؟".

دخلت الفتاة الشابة غرفتها، وتركت نفسها لتسقط في المقعد الوردي بالقرب من كوب العصير. ما هو مكانها في حياة "ميجول"؟

كيف أقنعت نفسها أن الوضع الحالي سيستمر إلى الأبد؟

بدت لها الحقيقة واضحة أمام عينيها. إن "ميجول" يحتفظ بها إلى جواره طوال الوقت باستثناء أوقات النوم، بنفس الطريقة التي عاملها بها وقت الغداء. مهما كانت نشاطاته والأشخاص الذين يقابلهم كان يصر على وجودها. كان يقدم لها وللآخرين أسبابا مقنعة دائما. عندما كان في الأستديو كان ذلك ليعلمها المهنة. عندما كان يضع

www.rewayti.net

الموسيقى كان ذلك لكي تعرف دائما ان تطلق خيالها. عندما كان يقابل زملاء في العمل كان ذلك ليعرفهم إليها وليفتح أمامها أبواب العمل الفني. وعندما كان يسافر فذلك لكي تجلب له الحظ ولكي تسانده معنويا. وعندما كان يستقبل ضيوفا كان ذلك لتقوم بدور المضيفة.

"وهذه المسكينة "مارجريتا" وجدت نفسها تابعة ووصيفة لها. لقد شكت من اضطرارها لترك حقل عملها الحقيقي ولكن دون جدوى. يجب ان تتبع هي الأخرى أوامره تحت حجج مختلفة".

هل كانت عمياء عن ملاحظة نظرات الدهشة والإعجاب التي يرمقها بها؟ ألم تشعر بالضجر ابدا لان تكون دائما وفي كل مكان كظل "ميجول" ؟ كان لديه طريقة ساحرة في تقديمها، في أن يشير إلى المكان الذي يجب أن تشغله، وبعد ذلك في أن يتظاهر بانه لا وجود لها! الجميع كانوا يسألون عن علاقتها، الجميع إلا هي.

كانت منشغلة، جدا حتى انها لم تنظر أو لم تسمع أو تفكر في ابسط حركات "ميجول" . قد يمشي أمامها الناس على أيديهم فلا تبدي أي دهشة لما يفعله الآخرون، لم يكن له اي اهمية لديها.

"ميجول" هو مركز اهتمامها، اصل وهدف كل انشغالها، مصدر وهدف كل جهودها.

بالنسبة لها لا يهم سوى ما هو مع أو ضد مصلحة "ميجول" . انقسم الناس إلى مع أو ضد سعادة المغني المهنية والعاطفية. كانت تقيم افعاله دائما بهدف ان تحسنها في المستقبل.

باستثناء بعض الصحف لم يذم أحد سلوكه. لقد كانت متأكدة من ذلك. لقد تدربت في طفولتها بواسطة الآخرين ونفسها. كانت تعرف كيف تكون متحفظة. العنصر الوحيد الذي كان يسبب لها الاضطراب هو وجودها المستمر إلى جانب "ميجول" ، وحقيقة إنها

نفسها قد انتهت بأن اقتنعت بأن هذا الأمر طبيعي.

طرق باب حجرتها مما لم يسمح لها بالاستمرار أكثر من ذلك في تحليل الموقف. لم تجد الوقت لتفتح فمها أو لتجيب. دخلت "مارجريتا" .

قالت في دهشة:

-إيه.. حسنا لقد اخبرتك الا تتأخري.

أجابت "سوانا" وهي تشعر كأنها طفلة أخطأت:

-ساكون جاهزة على الفور.

-تعالي ساساعدك.

-لكن...

-هيا فلنسرع. لابد أن أعاني مرة أخرى هجوم سيدات نادي الهواة. يجب أن تكوني في أحسن صورة. يبدو لي أنهن جميعا قد قررن مراقبتك هذا المساء.

-لماذا؟

زفرت "مارجريتا" :

-إنها تسألني لماذا! هل تعتقدين ان هؤلاء السيدات اللاتي يحفظن اسم وشهرة "ميجول" على هذا الساحل من الاطلنطي لن يصيبهن القلق لوجودك بالقرب من مطربهن المفضل؟ يلزمهم أن يعرفوا الصحيح من الخطأ حتى يكتموا أفواه الصحف المغرضة.

-تعرفين أن..

-لاشيء استجيدين التصرف معهن. أنا لست سوى المربية. من الأفضل أن... أن تضعي أحمر خدود. أنت شاحبة.

أذعنت "سوانا" . ماذا تفعل غير ذلك؟ إن "مارجريتا" تتابعها بعين جادة.

"لقد بدأنا من جديد، هذا اليوم ليس يوم سعدي. الجميع

www.rewayti.net

براقبونني."

سألت وهي تنهض وتلتفت إلى المربية:

-هل يصلح ذلك؟

تفحصت هذه الأخيرة الفتاة الشابة من منبت شعرها حتى حذائها الذهبي الرقيق. جعلتها تدور حول نفسها كأنها عارضة أزياء، وأخيرا أعطتها إجابتها بصوت جاد:

-لا يستطيع أي شخص أن يجد ما يقوله ضدك. أنت طويلة بشكل مناسب. جميلة ولكن جمالك نابع من داخلك، بالإضافة إلى جمالك الخارجي. إن لك مكانة رفيعة. الحمقى والاشرار قد يحسدونك. والآخرون سيعترفون بأنك مثالية لـ...

انتهت بأن قالت في حرارة قبل أن تخرج:

-أنا فرحة بك. أسرعي.. السيدات متعجلات. "ميجول" يكلف بتوزيع الهدايا قبل وصول المدعوين.

-لكن...

كانت قد أغلقت الباب. نظرت "سوانا" إلى ساعتها الذهب المرصعة بالزمرد، وأسرعت تتابع السيدة "ليفيا". كانت هذه الساعة هدية من "ميجول". وفي هذا أيضا وجد عدة أسباب ليهديها إليها، للخدمات التي تقدمها له.

كان على شفتيه ابتسامة خاصة جدا وهو يلبسها الساعة. شعرت "سوانا" لعدة ثوان أنه يضع في يدها قيدا. في بعض البلاد يضع الرجال الأساور إشارة إلى الأغلال التي تجعل منهن ملكا لأزواجهن.

قالت لنفسها: "هذا سخيف. بدلا من أن يعطيني شيكا مقابل نصوص الأغاني أهداني ببساطة قطعة حلي. أفضل ذلك. كنت سأشعر أنه لا يهتم بي إذا دفع لي... لا يهتم بي؟ ماذا أقول؟ يجب

أن أكسب عيشي!"

إن عقلها لا يكف عن التفكير في هذا اليوم. كان هذا هو خطأ "جوان" الذي كان يشك في أنها تريد الرحيل، و"جوزيه" الذي يريد أن يأخذها وينتقد صداقتها مع "ميجول". و"كارلوس" شكوى "كارلوس"، من عذابه الأبوي، والمغني نفسه الذي اتهمها بأنها تبحث عن عوض لأبيها. دون أن تحسب "مارجريتا" التي تقطع أنصاف عبارتها تاركة إياها تتوقع كل أنواع التهديد.

ولقد تجدد التهديد. بمجرد أن وضعت قدميها في الصالون الكبير حيث اجتمع أكثر أعضاء نادي الهواة تأثيراً، وشعرت بأنها قد ألقي بها في عرين الأسد.

كم كانت السيدات الحاضرات أنيقات وينتمين إلى أعرق الأسر في "أمريكا". كانت زينتهن مبالغا فيها قليلا. ماساتهن اللامعة وحليهن.. كل شيء يعبر عن ثقافتهن الأمريكية. إنهن بوجوههن أسئلة مباشرة لا يمكن تجاهلها.

رسمت "سوانا" على شفتيها ابتسامة دبلوماسية خاصة بالمناسبات، وتصرفت وفقاً لتعليمها الراقي. صافحت الجميع.

كان "ميجول" يرشدها ولا يترك لاحد محادثتها، محيطاً بدون توقف محاولات هؤلاء السيدات ذوات العبارات المجاملة والابتسامات الفاتنة. وفي نفس الوقت كانت "سوانا" تقدم لكل واحدة الهدية الخاصة بها. وأخيراً شعرت بأن لها الحق أن تتنفس الصعداء عندما فتحت كل منهن الهدايا وأصدرن صيحات الإعجاب.

قالت لنفسها وهي تبتسم لـ"ميجول": "لقد ربحت. إنهن قد نسين الآن وجودي".

قال المغني قاطعا عبارات الشكر:

-لا تشكرنني. لقد قامت "سوانا" بنفسها باختيارها لكن.

www.rewayti.net

نظرت إليه الفتاة الشابة في غيظ . لقد كان ... كان سعيداً بهذه اللعبة الذي ورطها فيها . إنه يضحك، هذا الشرير ! بينما شعرت بإحراج شديد وكل الأنظار تلتفت إليها من جديد . وعادت السيدات إلى انشغالهن الأول : تقييم هذه الفتاة الشابة التي تشغل الأخبار الخاصة بالمغني المشهور منذ شهور، وهي تعيش تحت سقف بيت مطربهم المفضل الذي يعشقنه.

كان تحت أيديهن عنصر يسمح لهن بالحكم . انتقلت أنظارهن بين الهدايا المقدمة، وهذا الوجه الذي تحيط به خصلات كستنائية ذهبية طويلة، وعينان خضراوان تعكسان الخوف .

على الرغم من ذلك لم يكن هناك ما يدعوها للقلق . لقد أحسنت اختيار الهدايا.

لقد فحصت كل الاستمارات الخاصة بهؤلاء الأشخاص في سكرتارية "ميجول" وبعد ذلك اختارت هدايا تكون على مستوى شهرته وكرمه.

تحدثت السيدة "سيمبسون- جرانت" أولاً وهي تتقدم بخطى ثابتة نحو الفتاة الشابة. وبعد ذلك تبعتها "جزابيل هاريسون جونز" .التي تبعتها "هانريات مارشال لافاييت" نعم! لقد قبلت "سوانا" مجاملاتهن وشكرتهن في تواضع.

-أنت لطيفة جدا، هل تمانعين في أن تقولي لنا عن...

كل حياتها. على الأقل ما تتذكره منها. الباقي سيؤلفه هؤلاء السيدات بأنفسهن. لم تجد "سوانا" أي طريقة للتهرب. أما "ميجول" فقد ترك لها المجال.

-أرجو المعذرة... يجب أن أذهب لمقابلة الضيوف.

دفعته معجباته العزيزات إلى الخارج. بقيت الفتاة الشابة ترمقه بنظرة عتاب، أجابها بأن رفع حاجبيه متسائلا، ولمع في عينيه نظرة

مكر.

قالت "سوانا" لنفسها: "سأنتقم" .

لماذا يلقي بها في عرين الأسد، حيث أكثر معجباته إلحاحا؟

حتى هذه اللحظة كان حريصا على ألا يتركها أبدا وحيدة أمام الأسئلة. وإذا لم يكن هو بنفسه إلى جوارها كان "جوان" و "كارلوس" و "مارجريتا" يبعدون عنها المتطفلين.

هل قرر أن يخيفها بأن يطلعها كم هو صعب الحياة إلى جوار نجم؟

كم كانت حساسة؟ هل أرادها فكرة أن تكره رجل مشهور وتدرك أن مكانها في حياة أخرى؟

سألت "سوانا" نفسها وهي تجيب عن السؤال الألف من الأسئلة المتطفلة التي طرحت عليها. "هو أيضا؟"

لكنها لم تكن خائفة! بأي سبب كانت ستخاف من هؤلاء النساء اللاتي هن مثلها يعجبن به ويقدرن نجمهن العظيم؟ هي أيضا...تعزه بالإضافة إلى أنها معجبة به، ما لم يكن أكثر منهن. لأي سبب آخر كانت ستبذل كل هذا الصبر والدبلوماسية لترد على أسئلة هؤلاء السيدات اللاتي يستطعن في يوم وليلة أن ينصرفن عن نجمهن المفضل؟

إن النجم العصري ضعيف وحساس جدا. يحاط بالمعجبين الذين على استعداد لتمزيقه لسبب واحد هو أن يرونه يسقط من فوق القمة التي وصل إليها بفضل موهبته و عمله والحظ. وهم مستعدون للتخلي عنه في أي زلة.

لهذا السبب كانوا يتهمونه بأن نجاحه لا يرجع إليه، ويرجعون بيع ملايين الأسطوانات لسبب واحد هو لكنته الساحرة أو على الأحرى إلى حماقة المستمعين. لهذا السبب يلومونه لاتساع ثرائه بينما ممتلكاته المختلفة يعيش منها المئات. أليس من المشرف في أيامنا أن

www.rewayti.net

يكون مطرباً ناجحا عن أن يكون عاطلاً يتقاضى معاشا؟

لهذا السبب ينكرون حقه في الحب، لا يتركون له سوى مغامرات طويلة أو قصيرة. لهذا السبب من السهل أن يسقط النجم فريسة للمرض والإدمان وحتى الموت...

لم تلاحظ "سوانا" وهي غارقة في أفكارها مرور الوقت، وأجابت دون أن تلتقط أنفاسها عن كل أسئلة السيدات اللاتي يحطن بها، أولئك السيدات اللاتي يدفعنها الآن للخروج إلى الحديقة. سيغني "ميجول" لضيفاته قبل أن يبدأ الحفل. لا يجب أن تفوتهن دقيقة واحدة من هذا الحفل الخاص. حدث يعتبر هدية إضافية.

وصلن في الوقت تماما، وأخذن كئوس الشراب، وجلسن حول الطاولات. ذهب التوتر عن "سوانا" بمجرد أن بدأ "ميجول" الغناء.

يمكنها أن تنسى مخاوفها. إنه أجمل من أي وقت مضى في حلته القطيفة وفي قميصه الحريري العاجي اللون المتناسب مع بشرته البرنزية، وشعره الأسود الذي يعنى بتصفيفه عند مواجهة الجمهور. جمهور مهم جدا لأنه من المقربين لديه.

ابتسمت واسترخت. لقد طار قلقها. كانت غارقة في شرنقة من العذوبة. الصوت الدافئ الحلو الذي يفتن مستمعيه. عيناه المختفيتان تحت جفنيه كما لو أنه يريد التركيز في كلمات أغانيه، كانتا ترفعان أحيانا، وكان واحد من مستمعيه يشعر كأنه يصوب نظرته نحوه لتنفذ حتى قلبه.

كان يغني للجميع، ولكن السحر الغريب هو أن كل واحدة كانت تشعر بأنه يغني لها بشكل خاص. كان يدعو للحلم، وكلماته تفتن الحواس والروح في نفس الوقت.

رفع "ميجول" عينيه، وشعرت "سوانا" بتوردها لإحساسها بأنها هدف الشعلة المتقدة التي ترقص فيهما. حاولت أن تدير رأسها

ولكن لم يخفض المطرب عينيه، ولم تستطع أن تفصل عينيها عن عينيه.

كل نظراتي الموجهة إليك فقدت طريقها
غنيت كثيرا
وهجرتني
أخذت الحب. أخذته عنوة
وتركتني من أجل قبلة
حياتي تدور حول نفسها كالإعصار

لم تكن قد سمعت هذه الأغنية من قبل، ودهشت بألا تكون على علم بهذا الحدث الجديد. متى وأين جهز "ميجول" و"جوان" هذه الأغنية؟ لم يكن هناك أي إمكانية لذلك. لابد أنهما بقيا مستيقظين حتى الفجر بعد التسجيل الذي كان ينتهي نحو الساعة الثانية أو الثالثة صباحا.

"سوانا" ...

- "سوانا" ؟

من الذي يناديها؟ كانت تجد صعوبة في السمع. لا يمكن أن يكون "ميجول" هو الذي ينطق باسمها في نهاية الأغنية. إنها جارتها.. رئيسة نادي الهواة السيدة "سيمبسون جرانت" هي التي تخاطبها. تأملت "سوانا" شعرها الأشقر المصفف بعناية وعينيها الزرقاوين، والخواتم العديدة التي تزين أصابع يدي السيدة العجوز.

- يا لها من سعادة أن نسمعه يغني، ويالها من سعادة أن تجلسي إلى جواري. إني متأثرة جدا بذلك.

قالت لنفسها: "هاهي ضحية أخرى لـ"ميجول" حتى لو كان في سن ابنتها."

أمسكت السيدة "سيمبسون" يدي "سوانا" ونظرت إليها والدموع

www.rewayti.net

في عينيها واستطردت:

-إنه ساحر. في كل مرة أسمعه أشعر بأنني أرجع سنين للوراء وبأني شابة وأحب... هذا المساء، أنا في الثامنة عشرة، وأجلس تحت شجرة عنب. أول وآخر حب في حياتي كان يمسك يدي هكذا، ويطلب مني الزواج. عزيزي "إدوارد". لقد هجرني منذ زمن طويل... أنا أرملة منذ عشرين سنة. بسحر "ميجول" أشعر بأن "إدوارد" إلى جواري، يحيط بنا أجمل مشاعر في الدنيا... أتمنى أن تكوني أنت أيضا سعيدة كما كنت مع "إدوارد" خلال سنوات طويلة. هل تريدين رؤيته؟ معي دائما صورة له.

أذعنت "سوانا" على الفور. هل حصلت حقا على رضا السيدة "سيمبسون جرانت" لكي يكون لها مستقبل مشترك مع "ميجول"؟ ربما تكون قد أخطأت السمع. ألقت نظرة على الصورة التي قدمتها لها وأمسكت صيحة تعجب. قالت في نفسها وهي تنظر إلى الوجه المستدير والشعر الخفيف والمظهر المتردد للراحل زوج السيدة "سيمبسون جرانت":

"يا إلهي! هذا غير صحيح أن يثير مشاعر الحب مثل هذا الرجل. هل "ميجول" يذكرها به حقا؟"

-"سوانا".

اعتذرت الفتاة الشابة بسرعة عند نداء "ميجول" لها. إنها لم تلاحظه وهو يترك المسرح ويعود إلى ضيفاته، هؤلاء اللاتي بدأن يدرن ويسلمن على بعضهن البعض مكونات مجموعات صغيرة. لم تكن قد قابلت أحداً، وبعض سيدات نادي الهواة يحطن بها.

-سوانا".. لقد انتزعت لك القمر. ألست لطيفا؟ انظري من هنا.

-مساء الخير يا "سوانا".

-مساء الخير يا أبي.. كيف حالك؟ هل أنت في عمل بالولايات

المتحدة؟

ساد صمت يشوبه الإحراج، وعضت "سوانا" لسانها. ويجب أن تقوم ببعض الجهد.

-إني سعيد، برؤيتك. لم أكن أعرف أنك هنا. أهلا يا "ماريانا". فستانك رائع حقا.

بقي والدها وزوجة والدها في حيرة. تبادلوا الابتسامات المهذبة وبعض القبلات في الهواء حتى لا يتأثر الماكياج. ظهر "جوان" بالقرب من الفتاة الشابة.

همس إليها:

-"سوانا"، لا تبالغي. إنه على أية حال والدك. راعي طفولتك.

-لقد فاته رعايتي... والأحلام التي من هذا النوع تموت في الطفولة.

هل فعلت حقا ما ينبغي حتى أحتفظ به إلى جواري؟ لا، لقد اكتفيت بالانتظار في هدوء حتى يتخيل حبي العميق له، ولقد طار هذا الإحساس مع الوقت ومع غيابه عني.

سأل "ميجول" الذي ينصت بدون حياء:

-ماذا ستفعلين إذا كانت أمامك الفرصة لتبدئي من جديد؟

-سأبكي، سأفعل حماقات كثيرة، سأغرقه بخطابات أقول له فيها كم أحتاج إليه وإلى حبه، إلى مجرد وجوده. كنت لن أحتمل أن أكون بعيدة عنه حتى يأخذني في كل مكان يذهب إليه. لكن فات الأوان. نحن الآن غريبان.

-هل أنت نادمة على ذلك؟

-لقد فات أيضا أو أن الندم.

-ذلك أنك عندما تظهرين لرجل ما حبك.. تبكين وتكتبين له الخطابات وتفعلين الحماقات؟ إني لم أرك تبكين أبدا، ولكني أعرف

www.rewayti.net

أنك تستطيعين أن تفعلي ذلك، وتكتبين كثيرا. أما عن الحماقات فإني أعرف العديد منها، ولقد عانيت حتى من بعضها. أستنتج من ذلك أنك غارقة في الحب يا "سوانا"؟

سألته في دهشة:

-عفواً؟

كان قد انصرف من جانبها. اقترب إليها والدها و"ماريانا". بدا والدها متجهماً. أدركت أنها ستضطر للدفاع عن نفسها.

تدخل "كارلوس" في الوقت المناسب:

-سيدي. سيدي "منديجو دو بلميز" أنتما لم تتعرفا بعد إلى مديرة المنزل السيدة "لِيفا" وهي تقيم مع "سوانا" في جزء من البيت قد وضع تحت تصرفها.

أذعن الاثنان وانطلقت "مارجريتا" تعدد مزايا المسكن، وكيف تعيش الفتاة الشابة، وعنايتها واهتمامها بها. لقد أسرفت في ذلك حتى أثارت ابتسامة "سوانا". إنها لم تكن في حاجة إلى تبرير سلوكها لدى والدها. لقد قامت "مارجريتا" بذلك بإسهاب.

كتم "جوان" ضحكته وهو يأخذ "مارجريتا" بعيدا:

- "مارجريتا" الثمين، المدافعة ضد الأشرار الغاوين. ستطلب أجرا إضافيا إذا استمررنا في أن نطلب منها القيام بهذا الدور.

عروس البحر، عليك أن تسعدينا جميعا.

الفصل الحادي عشر

توجهت "سوانا" بخطى ثابتة نحو أعضاء نادي الهواة، ويداها محملتان بصينية عليها "البيتي فور". كانت هؤلاء السيدات أقل

خطورة من هؤلاء المقربين إليها. هؤلاء الذين بدأوا يثيرون أعصابها بتدخلاتهم وابتساماتهم التي تحمل معان كثيرة.

انخرطت في حديث موضوعه الأساسي هو الإطراء على موهبة "ميجول فارجاس" هؤلاء السيدات السعيدات بهذه السهرة لم يفكرن في إحراجها بالأسئلة الشخصية. ابتسمت من القلب. لقد كانت الحياة جميلة.

كانت السماء صافية مرصعة بالنجوم اللامعة التي تفتر إلى جوارها أنوار الحديقة. ملأت الموسيقى المرحة المكان، موسيقى مستوردة من "البرازيل"، تماما مثل القهوة التي ملأت الأقداح فأضفت جواً مرحا. كان الراقصون كثيرين حول حمام السباحة.

قالت "سوانا" في سعادة: "كم من أصدقاء. أصدقاء قدامى لـ"ميجول" هؤلاء الناس لا يريدون له إلا الخير. ليس هناك مصورون فضوليون ولا صحفيون لهم أقلام لاذعة".

شعرت بتنميل في ساقيها، وبحثت بنظراتها عن مراقص مناسب. كان "جوان" يمرح كالمجنون مع فتاة سمراء.

وعلى بعد حوالي عشرة أمتار كان "ميجول" يتحدث مع والدها والسيد "براجال". تقف إلى جانبه "إيزابيللا" رائعة الجمال في فستان بلون فاتح يكشف عن مفاتنها ويبرز جمال بشرتها الحمراء وشعرها الأشقر.

رفع "ميجول" عينيه وبشكل طبيعي مثل كل مرة نظر إلى "سوانا". ثانية واحدة تكفي ليغلفها بنظرته من رأسها حتى قدميها، فشعرت برعشة سعادة عميقة تسري في جسدها. حرصت على ألا تظهر ذلك. لم يكن "ميجول" معتاد التصرف هكذا..

على بعد خطوتين من هناك قطب "كارلوس" حاجبيه. وترتسم على شفتي "سوانا" ابتسامة لطيفة، ورأت "جوزيه" يضم قبضتي

www.rewayti.net

يديه.

إن الرجال يشعرون الغيظ مثل النساء تماما.

قالت عندما فوجئت بنظرة "إيزابيللا" الحاقدة وهي متعلقة في ذراع "ميجول" تحاول جذب الانتباه: "النساء يثرن الكراهية".

قالت لنفسها: "لا تنظري إليها".

نظر "ميجول" إلى "سوانا" وابتسم لها قبل أن يعود من جديد إلى الحديث الذي كان قد انصرف عنه لحظة. شعرت "سوانا" بأنها تتنفس الآن بارتياح.

لكن، ماذا يحدث لها بحق السماء! لقد كانت تمنع نفسها دائما من التفكير أو الحكم على حياة "ميجول" الخاصة والعاطفية.

لقد كانت مقتنعة دائما بأن هذه هي الوسيلة الوحيدة لكي تبقى إلى جواره.

اتهمت مرة أخرى كل هؤلاء الذين أشاروا إلى غرابة وضعها في حياة "ميجول". من الصعب أن تقع في الفخ هذه المرة. أصابعها تأكلها وتريد أن تنهض وتذهب لتبعد "إيزابيللا" عن "ميجول".

توقفت نظرتها الخضراء على المجموعة الصغيرة التي تنبعث منها الضحكات الرنانة للبرازيلية الشابة. إنها تريد أن تسد أذنيها.

- "سوانا".

انتزعت نفسها بصعوبة من تأملاتها. مد إليها "جوزيه" يده.

سألته وهي شاردة:

-هل ترحل الآن؟

قال الرجل الشاب:

-هذه هي المرة الثانية التي أطلب منك فيها أن ترقصي معي.

-أوه.. أرجو المعذرة.

وتبعته بعيدا عن الطاولات. ولاحظت أن اللحن قد تغير عندما

أخذها بين ذراعيه. وانتهز هذه الفرصة ليضمها أكثر إليه.

قالت معترضة:

-أحتاج إلى مساحة لكي أتنفس. أتعرف ذلك؟

وأضافت في نفسها: "وأنت طويل جدا وأحتاج أن أراقب "ميجول"".

ضحك "جوزيه" ساخرا:

-أعتقد أنك لا تعترضين على هذا النحو عندما يأخذك هو بين ذراعيه.

-عفوا؟ عمن تتحدث؟

-البراءة تناسبك، ولكن لا يوجد دخان بلا نار... أليس كذلك؟

همست "سوانا" في غضب:

-أنصحك بصدق أن تقرأ جريدة أخرى. لم أكن أعرف أنك... أنك...

-ذكي؟

صححت:

-حقير.

-أما أنت فانصحك بأن تجربي قراءة الصحف الاجتماعية قبل أن تقرئي فيها خبر زواج "ميجول" بـ"إيزابيللا براجال".

ضحكت "سوانا" ورفعت كتفيها:

-حماقة!

-لماذا إذن لا يتركها أبدا ويقضي أكبر الوقت في الحديث مع أسرتها؟

هل تعتقدين أنك تستطيعين البقاء هنا بعد هذا الزواج؟ هل تعتقدين أنها ستحتمل وجودك؟

سألته "سوانا":

www.rewayti.net

-الم تسرف في الشراب؟ أم أنك تعاني ضربة شمس؟

-ارفعي الحجاب عن عينيك واذنيك. أنت لا تريدين النظر حولك لتعرفي العالم الذي يحيط بك يا "سوانا". لقد سمحت لنفسي بأن أبقى بجانبك بشرط الا اخرجك من عالم أحلامك. اضطررت إلى أن أبقى الموسيقي العصبي بعض الشيء وعليك احتماله. مكانك لم يعد هنا يا "سوانا" تعالي معي سأعمل من أجل...

أجابت الفتاة الشابة:

-لماذا أرحل؟ لأن "ميجول" يهتم بأصدقاء له من زمن طويل؟ لأنه يتصرف بلطف مع فتاة من الواضح أنها تحبه بدلا من أن يتصرف معها بحماقة؟ إنه كان يريد أن يتزوجها لفعل منذ وقت وطويل. ألم تلاحظ أمرا أكثر غرابة؟ لقد نجح "ميجول" في أن يجعل والدي يأتي إلى هنا وزوجته الجديدة.

-ربما يريد أن يشير عليك بالرحيل معهما. شخصية مثل والدك لن يسمح بأن يرى اسمه كل يوم في الصحف ضمن الفضائح.

نهرته "سوانا" وعيناها لامعتان من الغضب:

-"جوزيه فيلار"! أنت محظوظ لأننا محاطان بكل هؤلاء الناس. تصور أن "سوانا" التي عرفتها قد اختفت. لم أعد أعيش في عالم الأحلام كما تظن. وإذا لم أسيطر على نفسي فستجد نفسك في قاع حمام السباحة، ولن يمنعني صفتك رجل من أن أجعلك تفهم أنني لا أحتمل التدخلات من هؤلاء الذين هم غير مضطرين لفعل ذلك.

دفعته بخفة، وباركت فكرته الطيبة بأن يصحبها بعيدا عن الأضواء ونظرات المدعوين. كانت تحتاج إلى أن ترتب أفكارها وتستعيد هدوءها ولكن لم يحالفها الحظ.

-"سوانا". هل يزعجك الضجيج؟

-ضجيج؟ أين؟ كيف؟

كان "كارلوس" يدخن السيجار في هدوء مستندا إلى جذع نخلة. بعين حادة فحص وجه الفتاة الشابة المتورد وتأمل باهتمام قبضتي يديها.

كانت "سوانا" غاضبة وهذا لا يحدث كثيراً. لقد لاحظ صوتها الذي علا فجأة ورأى الشابين يفترقان.

وهو الذي كان يعتقد أنه قد وجد الحل لمشكلاتهما عندما أحضر الرجل الشاب إلى هنا. في الواقع كان قلقا بشأنهما منذ زمن طويل.

لقد اتخذت "سوانا" أهمية متزايدة في دائرة حياتهم. لقد كانت طيبة جداً حتى أنه لا يستطيع أن يتركها تفسد حياتها.

بمراقبتها يوما بعد يوم كان يقتنع بحبها لـ"ميجول" ولقد خمن أيضا أن الفتاة الشابة لا تعي ذلك. في البداية قبل وجودها لتحفظها وعدم إفسادها لعملهم، أما الآن فمن الأفضل أن تبتعد.

"ميجول" ليس قديسا. عاجلاً أم آجلاً سيطلب من الفتاة الشابة ما هو أكثر من الصداقة. بما أنه ليس من المحتمل أن يفكر في الزواج نظرا للحياة غير المستقرة والصاخبة التي يعيشها كان سينتهي الأمر بـ"سوانا" إلى أن تتألم.

يجب أن ترحل قبل هذه الكارثة، قبل أن تعي حبها لـ"ميجول".

وبذلك سيظل هذا الحب مدفونا في داخلها. ستقابل رجلا شابا وتكوّن عائلة مستقرة، حلم حياتها.

من الواضح أن "جوزيه" لا يناسبها. لقد تشاجرا، و"سوانا" غاضبة، و الأسوأ أنه لاحظ فجأة أن "سوانا" غاضبة منه.

سألها في هدوء:

-هل أسأت إليك يا "سوانا"؟

-لماذا أحضرت هذا... هذا الـ..

www.rewayti.net

أجاب "كارلوس" :

-إنه صديق قديم.

اعترضت "سوانا" :

-صديق. هذا!

-اهدئي. السهرة تنتهي. لقد مررت بيوم عصيب ولن يغضب منك أحد إذا انسحبت لتنامي.

-أنام؟ إني أشعر بأنني مفعمة بالحيوية كالبطارية.

-لقد أسرفت في تناول القهوة. إنها لذيذة ولكني رأيتك تشربين منها ثلاث مرات.

-هل تراقبني؟

ابتسم قائلا :

-كل منا ينظر إليك بعين حارسة حتى لا يحدث لك أي مكروه.

قالت في غيظ :

-لأمان أكثر. فكرت في أن قيود الزواج هي الحل المثالي! لا تلعب أبدا هذه اللعبة يا "كارلوس"! أنت لا تصلح في عمل الخاطبة.

رحلت بخطى واسعة ثائرة في اتجاه المنزل. لا.. لم تكن تشعر بالنعاس. ستجد موسيقى لتهدئ أعصابها. منذ أن رأت "إيزابيللا" تمسك ذراع "ميجول" كانت تبدو كأنها غاضبة من العالم كله. كلما قابلت شخصا ما كان يزيد من ثورتها. لكن لماذا يريد الجميع التحكم في حياتها؟

دخلت صالون الدور الأرضي مقاطعة حديث "ماريانا" إلى والدها :

-لماذا تعيش معتمدة عليك طوال حياتها؟ تستطيع مثلا أن...

قالت في غضب :

-المبالغ التي حولتها لحسابي لم المسها منذ أربعة أشهر. أستطيع أن أكتب لك شيكا.

-لم تعيشين؟

قالت في جدية :

-من عملي.

تمتمت "ماريانا" :

-إذا كنت تسمين ذلك عملا.

-ما هذا في وجهة نظرك؟ الأغنية يعيش عليها مئات الأشخاص.

سأل والدها في شك :

-تقصدين أنك تؤلفين الأغاني، وهي مسجلة على أسطوانات؟

-سيأتي ذلك...

شر البلية ما يضحك. إن والدها يجهل كل شيء عنها. إنه يكتفي بالافتراضات.

أصر في سؤاله :

-هل يدفعون لك؟

-لا. ليس بعد، الآن يقدمون لي المسكن و المعيشة.

-ينتظرون أن تباع الأسطوانات.

-هذا ما كنا نخشاه. آسف يا "سوانا" يجب أن تحزمي حقائبك وتأتي معنا إلى "المكسيك" أو تعودي إلى "مدريد".

-لا :

-اسمعيني الآن!

من الواضح أن والدها على وشك أن يفقد سيطرته على نفسه.

-لقد استمر هذا الموقف أطول من اللازم. أنت تغطيننا بالخجل بتصرفك علي هذا النحو. من حسن الحظ أن هناك ضجيجًا كثيرا حول "ميجول فارجاس"، وخلال شهرين سينسى كل شيء، في انتظار ذلك..

رددت "سوانا" :

www.rewayti.net

-لقد قلت: "لا يا والدي".

تدخلت "ماريانا":

-لم يدعنا "ميجول" إلى هنا للاشيء. هو أيضا لابد أنه منزعج من هذا الضجيج حول اسميكما. ربما لم يعد لديه أي رغبة في بقائك هنا. إن الصحف- بعد الفضائح المعتادة في حياة المغني- بدأوا يجدون أن ارتباطكما طال حتى أنهم يتحدثون عن زواج مرتقب، والمغني الفاتن يفقد سحره بالزواج، أليس كذلك؟

-إذا كان "ميجول" لم يعد يريد بقائي عنده فهو كبير بالقدر الكافي ليأتي ويقول لي ذلك بمفرده. آسفة يا أبي، لقد تحكمت في حياتي أكثر من عشرين عاما. وخلال كل هذا الوقت فضلت أن تكون بعيدا عني. أنا لا الومك على ذلك ولن الومك. لكنك لا تعرفني، لا تعرف شيئا عني ولا عن حياتي... إذن إني أرفض اليوم تدخلك. وأرفض يا "ماريانا" أن يكون لك الحق في الحكم. كما قلت منذ قليل، ستغير الصحف بعد قليل الأسماء في عناوينها. طاب مساؤكما.

خرجت "سوانا" وصفقت الباب خلفها. انتهى الليل. لم يعد هناك أي موسيقى في الحدائق ولا أشخاص. كان على "مارجريتا" أن تعيد النظام للبيت. إنها لا تريد أن تصطدم بأي شخص. قد نالت ما يكفي في هذا اليوم.

خرجت إلى الحديقة، في ملابسها السوداء التي امتزجت بالظلام حتى وصلت إلى الشاطئ الأبيض في ضوء القمر. بقي الهواء ساخنا معطرا بعبق الأرض وزهور الحديقة والبحر.

سارت طويلا لتهدئ ثورة عقلها وقلبها، ولتهدئ أعصابها المثارة بسبب التصريحات الغريبة التي امتلأ بها هذا اليوم. عند الفجر كانت هادئة. كما هو الحال بالنسبة لها دائما. إن اختيار "ميجول" هو

الأهم .لن تأخذ في الاعتبار أي رأي آخر.

صعدت من الشاطئ عندما رأته يأتي في اتجاهها في جو الفجر الدافئ. هدوء تام يسيطر على الحديقة حتى المحيط كأنه أمسك أمواجه. النسيم يتخلل شعرها، وقدماها الحافيتان لا تصدران أي صوت على الرمال. طار فستان السهرة حول جسدها. كانت تشعر بأنها حمقاء في ملابس السهرة، وحذاؤها ذو الكعب العالي في يدها.

لقد فكر في ذلك بالتأكيد لأنه أخذ منها الحذاء وألقاه بعيدا وأمسك يدها.

همس في هدوء:

-أهلا يا جميلتي .لماذا تبدين كأنك في حداد؟ من أين تأتين؟

هل سمح لك "بوسدون" ملك البحار أن تأتي لتعيشي مع الآدميين؟

أجابته:

-أهلا يا "ميجول": إلى أين أنت ذاهب؟ ألن يغضب الآدميون أن يروك في صحبة فتاة تافهة؟

استطرد:

-كنت أبحث عنك. لقد نسيت أن تقولي لي طاب مساؤك. كان هذا هو أطول يوم في حياتي ولكن ها هو الفجر.

حرك "ميجول" ذراعه في الهواء ليهديها العالم.

-الفجر لنا يا عروس البحر ،لنا نحن الاثنين.

لم يكن النهار سوى خيط رفيع في الأفق، وأخذ يتسع شيئا فشيئا، ينتقل من الأزرق إلى الرمادي إلى الوردي، ليتعكس على المحيط والسماء والأرض. إنه فجر هادئ، دافئ. كطفلين تائهين اقترب كلاهما من الآخر ليتشجعا في مواجهة غموض العالم.

www.rewayti.net

وعندما لفت الشمس فجأة شعاعها الذهبي غمرتهما بفرحة عميقة لتكشف لهما عما كانا يخفيان منذ شهور.

كانت أول قبلة حب بينهما. كانت ابتسامة ذهبية. حركات المحبين واحدة ،ولكن هل كلها بنفس العمق؟ بالنسبة لهما كان هناك دفء الحياة، الضوء النقي لنظراتهما وبريق الحب.

اعترف لها ولمحة عتاب في صوته الأجش:

-كنت انتظرك منذ وقت طويل.

تعلقت "سوانا" بذراعيه:

-لقد كانت رحلة طويلة... طويلة جدا، وأخيرا وصلت. لن اتركك أبدا. حاول أن تطردني أو أن تهرب مني، سأبقى على الرغم من كل شيء بالقرب منك. سيحتفظ قلبي بقلبك إلى الأبد.

ارتعشت وقد تملكها الخوف فجأة. الحلم السيئ الذي رأته قد عاد إليها.

عندما لاحظ قلقها قال لها في إصرار:

-"سوانا" احكي لي!

اعترفت له بالحقيقة والحلم مختلطين، وخوفها من أن تفقده دون أن تستطيع أن تمنع نفسها من الارتعاش.

قالت:

-لن نستطيع أبدا أن...

-بسبب هذا الكابوس!

قهقه وضمها إليه بشدة.

-عروس البحر.. استيقظي يا "سوانا"، سنكتب الأغنيات معا جسدا وقلبا. لا تحاولي أن تهربي. لن تهربي مني أبدا. سأقتلك إذا اضطررت إلى أن أقتلك. سأحبك بنفسي في غرفة لا يكون مفتاحها إلا معي. أنا الوحيد الذي سيعرف الطريق لأنه طريق قلبي.

سأتزوجك وفقا لكل طقوس العالم لكي أكون متأكدا أنك زوجتي إلى الأبد. سأتزوجك كل يوم من أيام حياتي... سأسرق جسدك وروحك وقلبك.

-لا أحد يستطيع أن يسرق الروح.

-بلى. لن تعيش روحك إلا بأفكارنا نحن الاثنين، لن أرى إلا بعينيك، ولن أتحدث إلا بلسانك، وستكون يداك هي يدي.

-هل تشاركني أحلامي؟

-هذا صحيح يا حبيبتي. أريد أن أعيش فيك، ولكن جسدي يستطيع أن يعيش معك. أنت تريدين من أجلي امرأة تمنحني كل ما فيها وفي الآخرين. لن يكون لك القدرة أبدا في أن تتحرري. لا شيء يستطيع أن يفرقنا. حبنا أقوى من الموت ،حبنا هو البداية والنهاية، حبنا هو مفتاح العالم.

صدق على وعده لها بقبلة أطارت آخر إحساس لها بالخوف. في هذا المكان حيث اعترفا بحبهما.. لا شيء يستطيع أن يصل إليهما وهما جزءان لا يتجزآن من العالم.

الفصل الثاني عشر

قالت "نيللي" وهي تضع قلمها على النوتة التي تدون فيها ما ترويه "سوانا":

-هذه الأشهر الأربعة، جعلت منك شاهدا خاصا على حياته.

-استطعت بذلك أن أحبه، وأنا أعرف كل شيء عنه.

-وتزوجتما بعد ذلك بثلاثة أسابيع في "المكسيك". كان أكثر الزيجات أناقة وبريقا في العام.

www.rewayti.net

ضحكت "سوانا" قائلة :

-الأكثر إجهادا.

-عم تتآمران أيتها السيدتان؟

التفتت "سوانا" نحو القادم الجديد بصيحة فرحة. بعد الخمسة عشر يوما من الإجازة التي قضاها في جزيرة "روكيتا" اكتسب "ميجول" اللون البرنزي. جلس خلف زوجته واضعا يديه على كتفيها في مواجهة "نيللي" التي تنظر إليهما.

سألته الفتاة الشابة:

-هل كان الصيد طيبا؟

أجابها ضاحكا:

-لا تحاولي أن تغرفي السمك. ماذا كنت تنتزعين من معلومات من زوجتي الرقيقة؟

-لن أنشر أي شيء بدون موافقتك، أنت تعرف ذلك. على أية حال، من الأفضل أن يختصر ذلك إلى فصل واحد. "سوانا"، يجب أن توافقي على كل ما كتبت بنفسك.

سأل المغني:

-كل ماذا؟

- كل لقائنا يا "ميجول".

-كنا نعرف بعضنا منذ الأزل. عندما كان عمرك عشر سنوات كنت أجذب ضفائرك، وكنت أسحر من عينيك اللتين تشبهان الساحرة الشريرة، وعندما وقعت في حبي وأنا شاب وسيم جعلتني أشرب أكسير الحب...

-كنت تعيش في "المكسيك" وأنا في "مدريد". لقد قلت الحقيقة لـ"نيللي" وليست تلك القصص الخيالية المنتشرة عن هذا الموضوع.

-الحقيقة؟ ما هي؟

تدخلت "نيللي" لتعيد الحديث إلى الجدية:

-ألم يكن لزواجك أثر سيئ على جمهورك من النساء؟

يبدو أن "ميجول" كان مصرا على التهريج:

- الوقت يداوي كل شيء.

-يطلقون عليكما أحيانا "ملكا الحب" هل يثير ذلك غيظك؟

-لماذا؟ إذ كنا نجسد الحب بالنسبة للآخرين فلا بأس: هذه المملكة تحتوينا. لا شيء يضير معجباتي بذلك. إني أغني للحب، ومثالنا يعطيهن الأمل في أن يحببن ويحببهن الآخرون حبا كاملا. زواجنا كالمنارة لأن "سوانا" أحبتني تماما أكثر مما أستحق، لقد وجدت الحب الخالص. إنه يضيء بداخلنا. لقد توقفت عن أن أكون معبود الجماهير لأتحول إلى رسول حب وأمل.

-هل مازلت تؤلفين الأغاني يا "سوانا"؟ لم نعد نرى اسمك على علب الأسطوانات.

أجاب "ميجول":

-هذا صحيح. اسمها واسمي ليسا سوى اسم واحد.

-أكتب عندما يغيب عني "ميجول". منذ أن جاء الأطفال لم أعد أستطيع مرافقته. الغياب يشعل الشعلة كما تعيد الرياح النار للحريق. إني حارسة البيت.. بيتنا.

قالت "نيللي":

-هذا الغياب الذي كان يخشاه "كارلوس كيلان".

-بفضل "كارلوس" وصل "ميجول" إلى أن يستقر في عمله. لقد غزا العالم. لم يعد يعمل من أجل ألا ينسى. لا أحد يستطيع أن ينساه. إنه ينظم وقته بشكل جيد ولا نفترق إلا نادرا.

الإطار الساحر لخليج "أكابولكو" والمراكب الشراعية التي تقطع المياه الزرقاء اللامعة تحت أشعة الشمس، وبائعو القواقع خلف عرباتهم..

www.rewayti.net

لن تنسى الفتاة الفرنسية هذا المشهد أبدا. إنه من أجمل المناظر الطبيعية في العالم.

واقفة خلف المركب الذي سيقودها إلى المدينة حيث المطار لتطير إلى "فرنسا" ومعها في حقيبتها كتابها الثمين الذي كتبت فيه قصة حياة "ميجول" وقفت "نيللي" تودعهما.

لوح لها "ميجول" و"سوانا" مودعين. نظرت إليهما طويلا أطول ما تستطيع. كان يحيط خصر "سوانا" بذراعه، ورأسها مستند إلى كتفه. إنهما زوجان رائعان.

"ملكا الحب" شاهدان على مملكة سحرية يحلم بأن يدخلها الجميع. رسولا الحب والأمل.

انتابها شعور بأنها طريدة هذه الجنة، وهي تبتعد عن هذين الزوجين السعيدين.

قالت "نيللي" لنفسها: "أنا أيضا ذات يوم سأقابله وسأحبه وسيحبني".

تمّت بعون الله

www.rewayti.net